تزيين الأسواق في أخبار العشاق

لِلعَلَّامة الطبيب الضَّرير داود الأنطاكي

الجزء الثاني

الناشيء

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثالث

في ذكر عشاق الغلمان واحوال من عدل الى الذكور عن النسوان وتفصيل ماجرى عليهم من تصاريف الزمان

أعلم أن أصل هذا قد نشأ في قوم لوط زينه لهم الشيطان فأخرجهم به الى العدوان

وحكى بعضهم ان أصل ذلك من ياجوج ومأجوج ونقله بعض المفسرين في قوله عز وجل أنّ ياجوج وماجوج مفسدون في الأرض فيجب على كل ذي نفس شريفة وهمة منيفة الزجر والردع عن هـذه الفعلة الخبيثة التي ضجت الملائكة الى الله منها وحسم المادة الموصلة الى ذلك كالنظر ، فلذلك حرمه النووي رحمه الله تعـالى مطلقاً وقد ورد انه قدم على رسول الله ﷺ وفد وفيهم أمرد فأجلسه وراء ظهره ونهى ان يحد الرجل النظر الى وجه الأمرد وعن ابن المسيب إذا رأيتم الرجل يلح بالنظر الى وجـه الأمرد فاتهموه ، وأخرج الخطيب عن أنس موقوفاً لا تجالسوا أولاد الملوك فان الأنفس تشتاق

اليهم ما لا تشتاق الى الجواري العواتق   وحرض النخعي والثوري على عدم مجالستهم

وعن الخدري قال رأيت إبليس في النوم، فقلت له تعال . فقال لا حاجة لي بمن رمى الدنيا وان لي فيكم لطيفة فقلت وما هي ؟ قال مجالسة الأحداث فأخذت العصا لأضربه قال أنا لا تخوفني العصا وإنما يخوفني نور القلب

وعن الموصلي قال نهـــاني ثلاثون من الابدال عن صحبة الأحداث وعن بعضهم قال نظرت الى شاب جميل ، فقلت أيعذب الله هذه الصورة فقال لي أستاذي أورأيته سوف ترى غبها ، فأنسيت القرآن بعد عشرين سنة والآثار في هذا المعنى كثيرة ولله در من قال في المتصفين بهذا الشأن من هذا الزمان

فان لم تكونوا قوم لوط حقيقة   فما قوم لوط منكم ببعيـــد

وانهـــم في الخسف ينتظرونكم   على مورد من جهلكم وصديد

يقولون لا أهلاً ولا مرحباً بكم   ألم يتقـــدّم ربكم بوعيـــد

فقالوا بـــلى لكنكم قد سننتم صراطا لنا   في الفسق غير حميد

أتينا به الذكران من عشقنا بهم   فأوردنا ذا العشـــق شر ورود

فأنتم بتضعيف العذاب أحق من   يتـــابعكم في ذاك غير رشيد

فقالوا وأنتم رسلكم أنذرتكم   بمـــا قد لقيناه بصدق ووعيد

فما لكم فضـــل علينا فكلنا   نذوق عذاب الهون غير مزيد

كما كلنـــا قد ذاق لذة وصلهم   ويجمعنا في النـــار غير بعيـد

وقد انتظم شمل هذا الباب بما يتبعه من الأحكام منقسماً في ثلاثة أقسام

القسم الاول

فيمن استلب الهوى والعشق نفسه حتى اسلمه رمسه

وهو نوعان الأول فيمن عرف اسمه ، واشتهر في العشاق رسمه.

اخبار محمد بن داود وصاحبه محمد الصيدلاني

هو أبو بكر محمد بن داود بن علي المعروف بالفقيه الأصفهاني ، كان لبيباً حاذقاً وفقيهاً شاعراً ، وله في فقـــه الظاهرية والأحاديث والتواريخ اليد الطولى

قال الخطيب انه كان ملازماً للهوى ومتعلقاته منذ دخل المكتب ، وانه شرع في كتاب جمع فيه ظرائف العشاق ولطـــائفهم وسماه كتاب الزهره وساير به عمره وصاحبه

هذا هو محمد بن جامع الصيدلاني كان يبيع العطر ببغداد، وكان منأجمل أهل زمنه فعلقه محمد بن داود فكان له ألوفاً وعليـــه عطوفاً وبه رؤوفاً ، واشتهر أمرهما فلم ينكراه واتضح فلم يخفياه وقيـــل انه لم يعمل الكتاب المذكور الا بسبب عشق هذا ، وان اليه الاشارة في أول الكتاب المذكور بقوله وننكر من تغير الزمان وأنت أحد مغيريه ومن جفاء الاخوان وأنت المقدم فيه ، ومن عجب ما يأتي الزمان ظالم يتظلم ، وغابن يتندّم ومطـــاع

يستظهر وغالب يستنصر ، ومن أدلة عطفه عليه انـــه خرج من الحمام يوماً فنظر في المرآة فأعجبه وجهه فبرقعه ، وأتى ابن داود فلما رآه غشي عليه ، فقال له لاَ بأس عليك انني لم أبرقع وجهي لسوء أصابه ، ولكن رأيته غب حمام فأعجبني فأحببت أن لا أمتع به أحداً قبلك ففداه وسر بذلك ، قالوا ولم يعلم فيما سلف معشوق ينفق على عاشق سوى ابن جامع ، ومن لطف ابن داود ورقته انه كان يدخل الجامع من باب الوراقـين فهجره أياماً فسئل في ذلك ، فقال دخلت يوماً فرأيت متحابين يتحادثان فتفرقا مذ رأياني فآليت أن لا أدخل مكاناً فرقت فيه بين محبين .

وكان يجتمع مع ابن شريح الشافعي في مجلس الوزير بن عيسى فسبقه ابن داود يوماً فسأله حدث من الشافعية عن العود الموجب للكفارة في الظهـار فقال هو إعادة القول ثانياً فطالبه بالدليل ودخل ابن شريح ، فحين وقف على القصة قال لأبي بكر قول من هذا من المسلمين غيركم. فقال له وقد استشاط غضبه غاية أمرنا ان نعد قول من خالفنا خلافاً ، فغضب ابن شريح وقال له أنت أعزك الله بكتاب الزهره أمس من غيره فقال أبكتاب الزهرة تعيرني والله لا تصلح للنظر فيه أم أقل فيه

أنزه في روض المحاسن مقلـــتي	وأمنع نفسي أن تنـــال المحرّما
وأحمل من ثقل الهوى ما لو أنه	على جامد الصلد الاصم تهدّما
ويظهر سري عن مترجم خاطري	فلولا اختلاس الطرف عنه تكلما
رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم	وما ان أرى حباً صحيحاً مسلما

فقال له ابن شريح بم تفتخر عليَّ ولو شئت لقلت

ومسامر بالشهد من نغمـاته	قد بت أمنعـه لذيذ سناته
صبـــابه وبحسنه وحديثه	وأنزه اللحظات في وجناته
حتى إذا ما الصبح لاح عموده	ولي بخاتم ربـــه وبراتـــه

فقال ابن داود ليحفظ مولانا الوزير قوله حتى يقيم بينة بالبراءة ، فقال يلزمني في ذلك ما يلزمك في قولك أنزه في روض المحاسن فقال الوزير لقد حويتما ظرفاً وعلماً . وقيل كانت المناظرة في مسئلة في الايلاء وان ابن شريح قال أنت بقولك من كثرت لحظاته دامت حسراته أحذق ومن لطف ابن داود انه سئل يوماً

يا ابن داود يا فقيه العراق أفتنا في فواتك الأحداق
هل عليها القصاص في القتل يوماً أم مباح لها دم العشاق

فأجاب

عندي جواب مسائل العشاق فاسمعه من قلق الحشى مشتاق
لما سألت عن الهوى أهل الهوى أجريت دمعاً لم يكن بالراقي
أخطأت في نفس السؤال وان تصب بك في الهوى شفقاً من الاشفاق
لو أن معشوقاً يعذب عاشقاً كان المعذب أنعم العشاق

وقيل له وهو في مرض موته ماذا تشكو فقال حب من تعلم صيرني الى ما ترى فقيل ما منعك وقد كنت قادراً على ذلك فقال التمتع اما نظر مباح وقد أخذت منه بحظ، وأما تلذذ بالمحرم فمنعني منه قوله عليه الصلاة والسلام من عشق الحديث السابق في المقدمة وأنشد

ما لهم أنكروا سواداً بخديه ولا ينكرون ورد الغصون
ان يكن عيب خده بذر الشعر فعيب العيون شعر الجفون

فقيل له أنكرت القياس في الفقه وأثبته في الشعر فقال غلب الحب وتوفي نهار الاثنين تاسع رمضان أو لأيام بقين منه أو سابع شوال سنة سبع وتسعين ومائتين ، ومن لطيف أشعاره في محبوبه

يا يوسف الحسن تمثيلاً وتشبيها يا طلعة ليس الا البدر يحكيها
من شك في الحور فلينظر اليك فما صيغت معانيك الا من معانيها

مـــا للبدور للتحريف يا أملي نور البدور عن التحريف يغنيها
ان الزنانير لا تجلى وان عتقت ولا تزاد على النقش الذي فيها

ومنها

أشكو عليل فؤاد أنت متلفـــه شكوى عليل الى الف يعلـــله
سقمي تزيـــد مع الأيام كثرته وأنت في عظم ما ألقى تقلله
الله حرّم قتلي في الهـــوى سفهاً وأنت يا قاتلي ظلماً تحلـــله

ومنها

حملت جبـــال الحب فيك وانني لا عجز عن حمل القميص وأضعف
وما الحب من حسن ولا من سماحة ولكنه شيء به النفس تكلف

ومنها

سقى الله أياماً لنا ولياليا لهن بأكناف الشباب ملاعب
إذا العيش غض والزمان بغرة وشاهد آفات المحبين غائب

ومنها

انظر الى السحر يجري في لواحظه وانظر الى دعج في طرفه الساجي
وانظر الى شعرات فوق عارضه كأنهن نمـــل دب في عـــاج

أخبار القاضي شمس الدين بن خلكان
وصاحبه المظفري

هو قاضي القضاة أبو عبد الله شمس الدين محمد بن خلكان ، وصاحبه أحمد بن مسعود بن الملك المظفر وصاحب حماة وله معه حكايات غريبة وهو مـــا اشتهر به ان أباه دعاه ليلة فجلسا يتحادثان ، وخرج الغلام وعليه ثوب أسود وقد شدّ وسطه بمنديل مطرّز بالذهب ، وفي يده شمعة ومعه دينار فجلس ليتناول من أبيه سكرجة كانت معه فسقط الدينـار فأقام الشمعة لينظره ، فانطفأت الشمعة فنظر الى وجهه فرأى الدينـار تجاهه في الأرض فالتهبت نار عشقه في قلبه ، وخرج فكتم ذلك أياماً فمرض واشتد به الحال ، فبينا هو كذلك إذ أرسل المظفر ولده يعوده ، فحين رآه وثب قائماً كأن لم يكن به مرض ، وكان الغلام حاذقاً فعرف ذلك منه فأخبر أباه بذلك فحجبه ، فقال من رأى القاضي بعد ذلك انه كان يبيت الليـالي الى الصباح لا يعرف النوم وهو يقول

أنا والله هـــالك آيس من سلامـــتي
أو أرى القامة التي قد أقامت قيـــامتي

وقيل مات وهو ينشدهما ، وحكى انه كان بعد حجبه لا يركب إلا يوم الموكب ، وان القاضي كان يقصده مستخفياً فينظر اليـــه فبلغ أباه فمنعه الموكب فكتب اليه ابن خلكان

يا سادتي اني قنعت وحقكم في حبكم منكم بأيسر مطلب

ان لم تجودوا بالوصـــال تعطفاً ورأيتم هجري وفرط تجنـــبي

لا تمنعوا عيـني القريحة ان ترى يوم الخميس جمالكم في الموكب

لو كنت تعلم يا حبيبي مـا الذي ألقـــاه من كمد إذا لم تركب

لرحمتني ورثيت لي من حـــالة لولاك لم يك حملهـــا من مذهبي

قسماً بوجهك وهو بـــدر طالع وبليـــل طرتك التي كالغيهب

وبقامة لك كالقضيب ركبت من أخطارها في الحب أصعب مركب

لو لم أكن في رتبة أرعى لهـــا العهـــد القديم صيـــانة للمنصب

لهتكت سري في هواك ولذ لي خلع العـــذار ولو ألح مؤنبي

لكن خشيت بأن يقول عواذلي قد جن هذا الشيخ في هذا الصبي

فارحم فديتك حرقة قد قاربت كشف القناع بحق ديـــاك النبي

لا تفضحن بحبـك الصب الذي جرعته في الحب أكـدر مشرب

أخبار احمد بن كليب وصاحبه أسلم

هو أحمد بن قزمان الشهير بابن كليب الكاتب كان أندلسياً شاعراً نحوياً متفقهاً قرأ على محمد بن خطاب النحوي واجتمع بالمزني وبأبي عبد الله محمد بن الحسن وغيرهما

وأسلم هذا هو ابن سعيد بن خلف ، كان جـــده وزير السلطان المظفر المعروف بالناصر ولي أسلم القضاء بالأندلس بعدما كان حاجباً وله يـد في الأدب وديوان شعر معروف ترجمه في الاحـــاطة بتاريخ غرناطة معروف بالرياسة والفضل والعرافة ، فعشقه من مجلس ابن خطاب واشتد به كلفه فنظم فيه الأشعار الكثيرة وهو يكتم ذلك

فلما غلب عليه حبه فشا أمره واشتهر فيه على ألسنة شعره ، وقيل ان أول ما اشتهر من ذلك وسمع زامر السلطان يغني به قوله

أيسلمني في هـــوا ء أسلم هـــذا الرشا
غـزال له مقـــلة يصيب بهـا من يشا
وشى بيننـا حاسد سيسئل عمـــا وشا
ولو شاء أن يرتشي على الوصل روحي ارتشى

فحين بلغ أسلم هذا الأمر انقطع في داره عن جميع الأشياء فصار يجلس على بابه أحياناً فجعل أحمد لا يمر إلا على بابه فانقطع وصار يجلس ليلاً عند العشاء فمضى أحمد وأخذ دجاجاً وبيضاً وتزيا بزي بعض فلاحي أسلم وأقبل فقبل يده وتسلم الهدية وجعل يسأله على الضياع فاستلفاه فحين عرفه ، قال

أما يكفيك قطعي عن الطلب والخروج حتى تبعتني الى هنـا ، ثم حلف لا يخرج من بيته .

ومضى أحمد حزيناً فكان يماجن ، فيقال له ذهب دجاجك وبيضك ، فيقول أود لو قبلت يده قبلة وأذهبت كل ليلة مثل هذا ولمـا طال عليه الأمر انقطع قال ابن خطاب فعدته فوجدته مشرفاً على التلف ، فقال لو سعيت في أن تجمع بيني وبينه لا ثابك الله على ذلك ثواباً عظيماً فمضيت اليه فقلت له تعلم حرمتي عليك وحرمة ما ضمك مع ابن كليب من الطلب ، فقال نعم ولكن قد رأيت ما فشا من أمرنا قلت ما عليك أن تزوره فتنقذه من التلف .

فامتنع فلم أزل به حتى أجاب أن يمضي من الغد ، فلما جاء الميعاد ذهبنا حتى صرنا بازاء بيته فتغير وقال في هذه الساعة أموت ، ورجع بعدما جاذبته الرداء وقطع منه في يدي قطعة ، ودخلت على أحمد وقد بشره غلامه بقدومه ، فلما لم يجده معي تغير واختلط عقله فقمت عنه فآبت نفسه اليه ، فقال لي اسمع وانشد

أسلم يا راحـة العليل رفقاً على الهـائم النحيل
وصلك أشهى الى فؤادي من رحمة الخالق الجليل

فقلت له استعذ من ذلك ، فقـال قد كان فلم أخرج عنه الا وقـد قام الصراخ عليه ، ومن شعره فيه وقد أهدى له فصيح ثعلب

هـذا كتاب الفصيح بكل لفظ مليـح
وهبته لـك طوعاً كما وهبتك روحي

ومنه وقد كتب الى ابن خطاب شعراً في أسلم يعرضه عليه ، فقال انـه ملحون فراجعه ابن خطاب فكتب

ألحق لي التنوين في مطمع فانني أنسيت الحاقه
لاسيما اذا كان في وصل من كدّرني في الحب أخلاقه

أخبار مدرك وصاحبه عمرو

هو مدرك بن علي الشيباني نسبة الى بني شيبان عرب ببادية البصرة ، دخل بغداد صغير ونشأ بها ، فتفقه وأحسن العربية والأدب والخط .

وعمرو هذا هو ابن يوحنا النصراني البغدادي، كان بدير الروم من الجانب الشرقي ، وكان لمدرك مجلس علم لا يحضره فيه الا الأحداث وكان اذا دخله شيخ يخرجه وكان عمر يحضره ، فعشقه وزاد فيه وجده فالقى اليه يوماً رقعة فيها :

بمجالس العلم التي — بك تم حسن جموعها
الا رثيت لمقلة — غرقت بماء دموعها
بيني وبينك حرمة — الله في تضييعها

فاطلع الحاضرون عليها فاستحيا عمرو من ذلك وانقطع المجلس فكان مدرك يلزم دار الروم ويتبع عمراً ، وزاد به الوسواس حتى اختلط عقله ولزم الفراش ، ودخل الناس عليه يعودونه ، فقال أما بينكم وبيني حرمة وعشرة ، أما فيكم من يرحمني بالنظر الى عمرو فمضوا اليه ، فلما أعلموه بحاله وما صار اليه من أجله مضى معهم ، فحين سلم عليه أغمي عليه ، ثم أفاق وأخذ بيده وأنشد

أنا في عافية الا من الشوق اليك
أيها العائد ما بي منك لا يخفى عليك
لا تعد جسماً وعد قلباً رهيناً في يديك
كيف لا يهلك مرشوق بسهمي مقلتيك

ثم شهق شهقة فمات ، ومن أشعاره المشهورة قصيدته المعروفة بالمزدوجة وللطفها بتخميس الحلي لها أوردناه معها غير ان المصنف أبدل أبياتاً يسيرة من التخميس وزاد آخر زعم ان الحلي لم يقف عليها، وهذه القصيدة بالشرط المذكور غير أني أقول في أبيات المصنف له وهي هذه

من عاشق نـاء هواه دان ناطق دمع صامت اللسان
موثق قلب مطلق الجثمان معذب بالصد والهجران
طليق دمع قلبه في أسر

من غير ذنب كسبت يداه غير هوى نمت به عيناه
شوقاً الى رؤيه من أشقاه كأنما عافاه من أضناه
إذ كان أصل نفعه والضر

يا ويحه من عاشق ما يلقى من أدمع منهلة ما ترقا
(له) ناطقة وما أجادت نطقاً تخبر عن حب له استرقا
أخبار من يعلم أخفى السر

لم يبق منه غير طرف يبكي بأدمع مثل نظام السلك
تطفيه نيران الهوى وتذكي كأنما قطر السماء يحكى
هيهات هل قيس دم بقطر

(له) الى غزال. من بني النصارى عذار خديه سبى العذارى
وغادر الاسد به حيارى في ربقة الحب به أساري
تنشد قول مدرك في عمرو

(له) ريم بدار الروم رام قتلي بمقلة كحلاء لا عن كحل
وطرّة بها استنار عقلي وحسن وجه وقبيح فعل
وعظم ردف ونحيل خصر

ريم به أي هزبر لم يصد يقتل باللحظ ولم يخشى القود

متى يقل ها قالت الألحاظ قد كأنه ناسوته حين اتحد
أفديه من ريم ومن هزبر

ما أبصر الناس جميعاً بدرا ولا رأوا شمساً وغصناً نضرا
أحسن من عمرو فديت عمراً ظبي بعينيه سقاني خمرا
فما أفقت ساعه من سكري

ها أنا ذا بقده مقدود والدمع في خدي له أخدود
ما ضر من فقري به موجود لو لم يقبح فعله الصدود
فديته لقد أطال هجري

ان كان ذنبي عنده الإسلام فقد سعت في نقصه الآثام
واختلت الصلاة والصيام وجاز في الدين له الحرام
يا خيبتي ان لم أفز بغفر

يا ليتني كنت له صليباً أكون معه أبداً قريبا
أبصر حسناً وأشم طيباً لا واشياً أخشى ولا رقيبا
ولا أخاف أبداً من غدر

يا ليتني كنت له قربانا الثم منه الثغر والبنانا
أو جاثليقاً كنت أو مطرانا كيما يرى الطاعة لي إيمانا
فلا يزال الدهر طوع أمري

يا ليتني كنت لعمر ومصفحاً يقرأ مني كل يوم أحرفا
أو قلما يكتب بي ما ألفا من أدب مستحسن قد صنفا
ويجعل الريق بديل الحبر

يا ليتني كنت لعمرو عوده أو حلة يلبسها مقدودة
أو بركة باسمه محدودة أو بيعة في داره مشهودة
يدلج في أرجائها ويسري

يا ليتني كنت لـــه زناراً   يديرني في الخصر كيف دارا
حتى اذا الليل طوى النهارا   صرت لـــه حينئـذ ازارا
أضمـه الى طلوع الفجـر

قد والذي يبقيه لي أفنـاني   وابتز عقلي والضنى كساني
ظبي على البعـاد والتداني   حـل محـل الروح من جثماني
فليس لي عن قربه من صبر

واكبدي من خده المضرج   واكبدي من ثغـره المفلج
لا شيء مثل الطرف منه الأدعج   اذهب للنسك وللتحـرج
الا جمـال ثغـرة بالدر

اليك أشكو يا غزال الأنس   ما بي من الوحشة بعد الأنس
يا من هـلالي وجهه وشمسه   لا تقتل النفس بغير النفس
وجـد بوصل لسقام يبري

جد لي كما جدت بحسن الود   وارع كما أرعى قديم العهد
واصدد كصدي عن طويل العهد   فليس وجد بك مثل وجدي
وليس ذكر لك مثل ذكري

ها أنا في بحر الهوى غريق   سكران من حبك لا أفيق
محترق مـا مسني حريـق   يرثي لي العـدوّ والصديق
من حر صدري وعظيم ضري

فليت شعري فيك هل ترثي لي   من سقم لي وضنى طويـل
أم هل الى وصلك من سبيل   لعـاشق ذي جسد نحيـل
انحلة حبـك طـول الدهر

في كل عضـو منه سقم وألم   ومقلة تبكي بدمـع وبدم

شوقاً الى بدور شمس وصنم منه اليه المشتكي اذا ظلم
أفدية من شمس ضحى وبدر

أقول إذ قام بقلبي وقعد يا عمرو يا عامر قلبي بالكمد
أقسم بالله يمين المجتهد ان أمر أو أصلته لقد سعد
وكان من أشفيته في حر

يا عمرو ناشدتك بالمسيح الا سمعت القول من فصيح
يخبر عن قلب له جريح باح بما يلقي من التبريح
كسير قلب ما له من جبر

يا عمرو بالحق من اللاهوت والروح روح القدس والناسوت
ذاك الذي في مهده المنحوت عوّض بالنطق من السكوت
وأنشر الميت ببطن القبر

بحق ناسوت ببطن مريم حل محل الريق منها في الفم
ثم استحال في قنوم الأقدم فكلم الناس ولما يفطم
مصرحا عن أمه بالعذر

بحق من بعد المهات قمصا ثوباً على مقداره ما قصصا
وكان لله تقياً مخلصاً يشفي ويبري أكمها وأبرصا
بما لديه من خفي السر

بحق محيي صورة الطيور وباعث الموتى من القبور
ومن اليه مرجع الأمور يعلم ما في البر والبحور
وما به صرف القضاء يجري

بحق من في شامخ الصوامع من ساجد لربه وراكع
يبكي اذا ما نام كل هاجع خوفاً من الله بدمع هامع
ويهجر اللذات طول العمر

بحق قوم حلقوا الرؤوسا وعالجوا طول الحياة بوسا
وقرعوا في البيعة الناقوسا مشمعلين يعبدون عيسى
قد أخلصوا في سرهم والجهر

بحق ماري مريم وبولس بحق شمعون الصفا وبطرس
بحق دانيل بحق يونس بحق حزقيل وبيت المقدس
وكل أواب رحيب الصدر

ونينوى إذ قام يدعو ربه مطهراً من كل سوء قلبه
ومستقيلاً فأقيل ذنبه ونال عند الله ما أحبه
إذ رام من مولاه شد الازر

بحق ما في قلة الميرون من نافع الأدواء للمجنون
بحق ما يؤثر عن شمعون من بركات الخوص والزيتون
خصب البلاد في السنين الغبر

بحق أعياد الصليب الزهر وعيد أشموني وعيد الفطر
وبالشعانين العظيم القدر وعيد مر ماري الرفيع الذكر
مواسم تمنع حمل الاصر

وعيد شعياء وبالهياكل والدخن اللاتي بكف الحامل
يشفي بها من خبل كل خابل ومن دخيل السقم في المفاصل
لكونها من كل داء تبري

بحق سبعين من العباد قاموا بدين الله في البلاد
وأرشدوا الناس الى الرشاد حتى اهتدى من لم يكن بهادي
وحقق الحق بكشف الستر

بحق إثني عشرة من الأمم ساروا الى الأقطار يتلون الحكم
حتى إذا صبح الدجى جلا الظلم ساروا الى الله ففازوا بالنعم
ثم استداموها بفرط الشكر

بحق ما في محكم الانجيل من محكم التحريم والتحليل
وخبر ذي نبا جليل يرويه جيل قد مضى عن جيل
يسند زيد علمه عن عمرو

بحق مر عيد الشفيق الناصح بحق لوقا ذي الفعال الصالح
بحق تمليخا الحكيم الراجح والشهداء بالفلا الصحاصح
الراغبين في عظيم الأجر

بحق معمودية الأرواح والمذبح المشهور في النواحي
ومن به من لابسي الامساح وعابد باك ومن نواح
ينثر عقداً من دموع حمر

بحق تقريبك في الأجساد وشربك القهوة كالفرصاد
بما بعينيك من السواد وطول تقطيعك للأكباد
وسلبك العشاق حسن الصبر

بحق ما قدس شعيا فيه بالحمد لله وبالتنزيه
بحق نسطور وما يرويه عن كل ناموس له فقيه
متبع في نهيه والأمر

شيخان كانا من شيوخ العلم وبعض أركان التقى والحلم

لم ينطقا قط بغير فهم موتها كان حياة الخصم
وعنهم أخبر كل حبر

بحرمة الأسقف والمطران والجاثليق العالم الرباني
والقس والشماس والديراني والبترك الأكبر والرهبان
والمغرباني ذي الخصال الزهر

بحرمة المحبوس في أعلى الجبل ومار قولا حين صلى وابتهل
وبالكنيسات القديمات الأول وبالسليح المرتضى بما فعل
وما أتاه من فعال البر

بحرمة الأسقوفيا والبيرم وما حوى مغفر رأس مريم
بحرمة الصوم الكبير الأعظم وحق كل بركة ومحرم
من شرف سام عظيم الفخر

بحق يوم الذبح ذي الاشراق وليلة الميلاد والتلاقي
والمذهب المذهب للنفاق والفصح يا مهذب الأخلاق
وكل ميقات جليل القدر

بكل قداس على قداس قدسه القس مع الشماس
وقربوا يوم الخميس الناسي وقدموا الكاس لكل حاسي
توقد في راحته كالجمر

ألا رغبت في رضا أديب باعده الحب عن الحبيب
فذاب من شوق الى المذيب أعلى مناه أيسر التقريب
من بسط أخلاق وحسن بشر

فانظر أميري في صلاح أمري محتسباً فيّ عظيم الأجر
مكتسباً فيّ جميل الشكر في نثر ألفاظ ونظم شعر
ففيك نظمي أبداً ونثري

قلت قد أودعت هذه القصيدة غالب مصطلحات دين النصرانية ، لكن باعتبار مطلق الملة النصرانية لم يسلك فيها مصطلح الفرقة التي عمرو منها وظاهر انه كان رومياً ، ولكن مدرك لم يكن خبيراً بتفاصيل فرقهم وأقل منه معرفة بذلك من خمس حيث تسلقوا على مناسبة الشعر دون زيادة الأحكام ، ولولا وجود هذا الباب في الأصل والتزامي ذكر ما فيه لحذفته أصلاً لعدم الرغبة اليه ، لكن سأذكر لك البعض المناسب في فصل المناسبة (قوله عن حب له استرقا) بتشديد القاف أي جعل الناس رقاً والفاعل الحب

(قوله في ربقة) بكسر الراء والموحدة التحتية في الأصل حبل يجعل فيه حلق صغار يدخل فيه رقاب صغار الضأن فاستعاره تخييلاً كأن رتبة العشق جعلت المحبين في سنن الاستقامة كالمنتظمين في هذه الربقة

وقوله ريم يعني غزلاً ، والروم الفرقة الأصلية من النصارى التي تلقت عن المسيح عليه السلام ورئيسهم شمعون عليه السلام وفي البيت من البديع التجنيس في ريم ورام والروم ويسمى الاشتقاق والهزبر الأسد يقول انأشجع الوحوش الأسد ، فلو كان العاشق أسداً لصاده هذا الغزال مع انه خلاف القياس والناسوت واللاهوت ألفاظ وقعت في الانجيل فتأولها لوقا وهو البترك الأكبر الناقل عن بولس عن يوحنا عن شمعون عن المسيح عليه السلام وهو أول من قسم الفرق وتأول الرسائل والانجيل وذكر الآب والابن وروح القدس وقسم المثلثات فقال ان عيسى تدرع الناسوت يعني الحصة البشرية وأخذ اللاهوت يعني الحصة الالهية في ناسوته كالمصباح في الزجاجة وهذا جيد لولا انه قال فيستحيل تارة الى اللاهوت لأن حصة العذراء يعني مريم تغنى ، وفي هذا كلام طويل ذكرناه في الفرق

والصليب شيء ذو خطوط أربع تخرج على استقامة يجمع أصلها المحور وأصل تبرك النصارى بـه انهم لعنهم الله فاعتقدوا ان الذي أخذتـه اليهود بصقلية وصلبته هو المسيح وكان صلبه على شيء هذه صفته وانهم سقوه الخمر في حنك الخنزير

فلما قام بعد ثلاث حلل الخمرة ولحم الخنزير وحرض على حمل الصليب وقد كذبوا في ذلك كله خصوصاً ومدلول هذا ان الخمر حرام في الانجيل وقد ذكر نسطوريون في كتاب سماه تقسيم الصفائح وهو مرجع المتفقهة في الملة النصرانية وقد طالعته ان الخمر حلال في الأصل والقربان رغيف مستدير عليه صلبان كثيرة يخبز في كل بيت كل يوم أحد من الصوم الكبير ويحمل الى الكنيسة فاذا فرغت الصلاة أخذ القسيس بعضه وفرق بعضه فتنصرف به النصارى فيفطرون عليه كل يوم الى الجمعة

وهكذا والجاثليق الرئيس بالنسبة الى السلطنة الظاهرة وأما المطران فهو الفقيه الورع المستصحب للبس الصوف الأسود ، وأصل هذا الترتيب عندهم ان القارىء للانجيل من أول وهلة شماس فان تأوله واتقن حفظه صار قسيساً ويدوم كذلك ما دام عنده زوجة ، وان بلغ في العلم ما بلغ فان ماتت زوجته وتزوج خرج عن مراتب العلم ويسمى سالخ القسوسية والا صار مطراناً فان تنزه عن الذفر وما يخرج من الأرواح صار يتركا في مذهب الأرمن .

وأما الروم واليعاقبة والنسطورية فيرون انه لا يجوز أن يكون بتركاً الا من تنزه عن النساء وأكل الأرواح وما يخرج منها من أول عمره الا العسل والسمك ، لأن خليفة المسيح وطاعة هؤلاء فرض على النصارى . وأما الاسقف والميرون والراهب فأسماء للمتعبدين خاصة فالماكث في القلة ميرون وكثير السياحة أسقف وتارك النساء فقط راهب وشرط الروم ملازمته لبس المسوح وخدمة الدير وأن لا يصلي خارج كنيسة ولو خمس قوله « كيما يرى الطاعة لي إيماناً » بقوله « يكشف الرأس اذاً ويجري » لكان أليق لما فيه من ذكر الحكم الديني الواجب فعله مع المذكورين

والمصحف المراد به المعنى اللغوي والبيعة معبد صغير غير مرتفع والدير المعبد الكبير الكثير المرافق والمحاريب والكنيسة ما اشتملت على عواميد الأناجيل ولم يرتفع بناؤها طبقات ، والصومعة مكان رفيع رقيق الأسفل

والقلة مثلها الا انهـــا لا تسع أكثر من واحد والزنار منطقة تشد في الخصر وقت الصلاة مشتملة على صليب اذا شدت كانت على السرة

ومن هنا الى آخر ما شرح مؤخر والمغرباني الخـادم الملازم للبترك وباقي البيت تتقدم استطراداً والمحبوس في رأس الجبل هو الراهب نقولا وكان بانطاكية في بيعه البرتز فأرسله لوقا نذير الأهل السد فحبسه شعياء اليهودي في جبل الغمام وضربه على أن يرجع عن النصرانية ، فأبى ومات جوعاً عند الأرمن

واليعاقبة تقول ان المسيح أخذه واصطفاه وتوقفت فيه الروم ، ومرقولا أول بترك بعد لوقا وهو الذي قسم الكنائس بـــين الأرمن والروم والسليح بالمهملة رحل أقامـــه مرقولا في خدمة الكنيسة الرومية ولو أحسن المخمس لقال (ويضعه البخور فوق الجمر) لأنها وظيفته ، والاسقوفيا هو الاسقف وقد تجوّز فيها مدرك كما زاد الالف في مرقولا والبــــيرم الفراش في الدير وأشار بعفرة رأس مريم الى بولس الذي نحر عن مريم يوم صوّرت في القمامة ألف رأس وفرض خمسة عشر يوماً صوماً مبدوءها خامس عشر أيلول وهو تاسع عشر توت ، والصوم الكبير هو الصوم الذي تستفتح به السنة ليونانية وأوله من أول آذار يعني برمهات وقد يتقدم أو يتأخر بخمسة عشر يوماً ، وأصله في الانجيل ثلاثون يوماً ثم راده لوقا عشرة أيام لأجل خلاص النصارى من ولاية اليهود بافرنجة ، ثم زاده الوزير بولس عشرة لسلامة ابنته ، وكانت زمنة فأصحت صحيحة وزعمت ان المسيح مسح عليها وكان ذلك ليلة العيد فأمر بزيادة عشرة ففرضها على النصارى فكمل خمسين الى الآن

والبركة محل ماء الغطاس والمحرم تكميل ولو أحسن المخمس لقال (وبلسان عندها وعطر) لأن بركة الغطاس لا بد أن يحضر عندها القسيس ومعه شيء من دهن البلسان وأنواع الطيب لأنهم يقولون ان مريم كانت تصنع ذلك في تغسيل عيسى .

ويوم الذبح يريدون به يوم فراغ بختنصر من اليهود وذبحهم على دم يحيى بن زكريا وهو يفور حتى سكن .

وليلة الميلاد هي ليلة ميلاد المسيح وهي سابع كانون الأصم أعني ثالث عشر طوبة

والفصح بالمهملة وبعدها معجمة العيد الأكبر وهو ختام الصوم الكبير المعروف في مصر بالخماسين . والقداس هو المولود يأخذه القسيس حين يولد فيقدسه في المعمودية يعني يحطه في الماء ، ومن هنا الى عند ما تقدم مقدم والاقنوم افظة رومية ويراد بها المعنى وعندهم الأقانيم ثلاثة الله والمسيح ومريم ويعنون بها الآلهة وهو اصطلاح كازردشت عند المجوس وخاخان عند اليهود وأزدان عند الثنوية وآل شلع عند الصابئة الى غير ذلك مما استقصيناه في الفرق والذي قمص بعد الموت المسيح كما سبق ، والذين حلقوا الرؤوس وتشمعلوا يعني اتبعوا شمعون وهم لوقا ويوحنا وامليخا وجرجس وروبيل وبنيائيل وبولس ولهم قصة طويلة ذكرناها في الفرق وحاصلها انهم تعاهدوا على مدارسة الانجيل والانفراد في رؤوس الجبال بالعبادة ، ولقد رأيت بعض بيعهم بالدير الكبير في الجبل البحري بالقرب من انطاكية وللنصارى فيهم أقوال عجيبة لا يساعها هذا المحل ، وما بعد ذلك أسماء أنبياء من بني اسرائيل

والدواء الذي في قلة الميرون هو دهن البلسان وغسالة أرجل البتاركة في القمامة ليلة الغطاس يجمعها البترك ويجعلها في الزجاجات عند أهل القلل فيبرىء به المصروع والمبرسم وصاحب الماليخوليا فان صح ذلك ، فلما فيها من دهن البلسان وكذلك عدم تغيره مدة الدهر ولقد قلت للبترك يوماً أنا أغسل رجلي بالماء وارفعه فلا يتغير أبداً فتبطل مزيتكم ، ثم ذكرت له العلة فاعترف والمأثور عن شمعون من الخوص والزيتون هو ان شمعون دخل الكنيسة يوم أحد خامس من يوم الصوم الأكبر ومعه غصن من شجرة

الزيتون وشيء من خوص النخل. فلما فرغ من الصلاة وعنده جماعة منكرون في الباطن رفع اليهم من ذلك شيئاً وأمرهم بادخاره فبقي رطباً الى القابل فدانوا للملة العيسوية فاتخذ ذلك سنة فيهم يأتون به الآن في اليوم المذكور ، ويطرح في الكنائس ، فاذا فرغت الصلاة توزعوه فيكون عندهم الى القابل ولو عرف المخمس لقال (وخالص الكندر والمقر) يعني الميعة بلسانهم فانهم يأخذون من الكندر والميعة وورق الزيتون ويعجنون الكل بخور للكنائس وغيرها، ويداورون به أمراضاً كثيرة كالحميات، نعم يأخذون ورق الزيتون ليلة عيد الصليب فيدفنونه في الأرض أسبوعاً ثم يخرجونه فان وجد أخضر حكموا ان السنة مخصبة وان كان غير هذا فبالعكس وله أحكام طويلة ذكرناها في كتاب الفلاحة

وعيد الصليب معروف،وعيد اشمونا عاشر نيسان،وعيد الشعانين هو الذي يأتي في الصوم الكبير ويعقبه عيد الفطر السعيد وعيد مار ماري هو الذي يأتي بعد صوم بولس وقد سبق،وعيد شعياء يكون في صوم الميلادة بشباط يعني أمشير والأرمن تسمى عيد الشعانين عيد شعياء .

واليعاقبه تسمى يوم الزيتون أيضاً كذلك ، والعمدة على كلام الروم ، والهياكل والأماكن التي فيها قبور مثل البتاركة والمطارنه والدخن المراد بها حصى اللبان الذكر ، والسبعين من العباد هم المختارون من القوم الذين أكلوا المائدة والاثنا عشر من الامم المراد بهم السبعه السابقة ، وشمعون وسمعان وبطرس ودانيال ويحيى وهؤلاء حواريون واتباع افترقوا للدعوة لما اختصوا به وعملوه ولسبب خروجهم أحكام ليس هذا محلها وبسطناها في الفرق .

ومر عبيد عابده كان بدير سمعان وشعياء ونسطورون شيخا التفسير أول من حل الانجيل ، ولهما كتاب ذكرا فيه الصحف المنزلة على الأنبياء وعددها مائة وثمانية عشر وجمعا بين أحكامها وأحكام الانجيل والزبور والتوراة ، ومواعظ وجعلاه قسمين وهو كتاب عزيز الوجود وقفت عليه وطالعته الى هنا انتهى الغرض منه

النوع الثاني في ذكر من جهل حاله وكان الى الموت في الحب مآله وقد رأينا ان نبدأ منهم بعشاق النصارى تبعاً للقصة المشهورة

(فمنهم) سعد الوراق وكان بالرها يبيع الورق ، يجلس اليه الشعراء وأهل الأدب فيتحدثون عنده في الشعر كالصنوبري والمعري وغيرهما فلازمهم غلام نصراني اسمه عيسى يكتب ما عندهم من الأدب فعلقه سعيد وزاد به وجده فأنشد يوماً

اجعل فؤادي دواة والمداد دمي وهاك فابري عظامي موضع القلم
وصير اللوح وجهي وامحه بيدي فان ذلك لي برء من السقم
ترى المعلم لا يدري بمن كلفي وأنت أشهر في الصبيان من علم

ثم اشتهر أمرهما ، فلما شب الغلام طلب الترهب فأجابه أهله بعد جهد الى دير زنكي وأقام به ، وكان سعيد يأتيه ويجلس معه فكره الرهبان ذلك وتوعدوا الغلام بالخروج من الدير فمنعة ، أي صارت الرهبان تغلق باب الدير في وجه سعيد اذا أتى

فلما أيس مضى فأحرق داره وثيابه وخرج عارياً ينشد الأشعار ويطوف بالدير ويبيت في ظله وان الصنوبري أتاه يوماً وقد طال شعره وتشوهت خلقته فعنفه فقال يا أبا بكر ألا ترى الى هذا الطائر الذي على شرفة الدير قلت نعم قال لي اسأله حمل رسالتي الى عيسى فأبى ثم قال هل عندك لوح قلت نعم ، فدفعته اليه فكتب

بدينك يا حمامة دير زنكي وبالانجيل عندك والصليب
قفي وتحملي مني سلاماً الى قمر على غصن رطيب
حماه جماعة الرهبان عني فقلبي ما يقرّ من الوجيب
وقالوا رابنا إلمام سعد ولا والله ما أنا بالمريب
وقولي سعدك المسكين يشكو لهيب جوى أحر من اللهيب
فصله بنظرة لك من بعيد إذا ما كنت تمنع من قريب
وان أك مت فاكتب حول قبري محب مات من هجر الحبيب
رقيب واحد تنغيص عيش فكيف بمن له الفا رقيب

ولم يزل كذلك حتى وجد عند الدير ميتاً فأراد العامل يومئذ وهو العباس بن وكيع البطش بالرهبان وحرق الغلام فافتدوه بمائه الف درهم وصار الغلام اذا دخل المدينة لزيارة أهله تضر به الصبيان بالأحجار ويقولون له يا قاتل سعيد فانتقل الى دير سمعان

* * *

(ومنهم شرف العلاء) علق غلاماً نصرانياً فلبس المسوح لأجله وتبعه الى الكنائس والبيع ، وهام به فبلغ ذلك الظاهر بن أيوب فاستحضره ، فلما دخل عليه تلقاه بقدح من خمر فشربه وأنشد :

جمعت بالكأس شملي الله يجمع شملك
بحق رأسك دعني حتى أقبل نعلك

وصار على ذلك هائماً حتى مات .

* * *

(ومنهم) ما أخرجه ابن الجوزي عن سعيد قال كنت بخان التجار بالبصرة اذا بغلام يصيح وفي يده مدية فاجتمع الناس اليه فأنشد

يوم الفراق من القيامة أطول   والموت من ألم التفرق أجمل
قالوا الرحيل فقلت لست براحل   لكن مهجتي التي تترحـل

ثم بقر بطنه بمديته فسألت عنه ، فقيل عشق غلاما لبعض الملوك فحجب عنه يوماً واحداً ففعل هذا

● * ●

(ومنهم) ما حكاه الثوري في روضة القلوب قال كان بحمص مؤدب يقال له ابن الدوري عشق غلاماً وكلف به ، فلمـا علم أبوه بذلك نقله الى مؤدب آخر عدوّ له فضعف واشتد غمـه ، فكتب الى أبي الغـلام يستعطفه فأجابه بأنه ان لم يرجع رفع أمره الى الحاكم فتغير من وقته وتقايأ الدم ، وحمل الى بيته وجاءه الطبيب فأخبر ان كبده تفطرت فمات في الرابع

* *

(ومنهم) ما حكاه في ديوان الصبابة وهو نظير العشق المسلسل السابق في الباب الثاني قال عشق شاب بدمشق غلاماً ، فلما اشتد به وجده قتله فحمل الى الحاكم فأنكر فهدد بالضرب ، فجاء شاب كان يعشقه فقال ان هذا لم يقتل الغلام وإنما أنا قتلته فكتبوا عليه بذلك وخرجوا ليقتلوه فحدث الحاكم بباطن القصة وكان متأدباً فأمسك عن قتله وحبسه لينظر فعزل بعد أيام وكان أول ما حكم الحاكم الجديد ان شنق الشاب المذكور وقال شهاب الدين الحاجبي ، كان شاباً لطيفاً جيد القريحه ذا نثر ونظم من العجائب الدالة على ان له اليد الطولى في الأدب ، وكان من أولاد الجند عشق شاباً من أولاد الحسينية وأفرط في حبه حتى كان لا يصبر عنه ساعة ، فمرض الشاب وانقطع فمرض الحاجبي لمرضه فدخل أصحابه عليه ليعودوه ، فقال أريد من يوصل هذه الدراهم الى فلان يعني صاحبه فقيل له قد مات فتغير

من وقته واختلط عقله وجعل يقول قد مات ، ثم قال احملوني من هنا وألح عليهم فأخذوه من حارة بهاء الدين الى قنـــاطر السباع فمات بها من يومه والتقت جنازته وجنازة محبوبه فصلى عليهما معاً ، ومن شعره

ملأت فؤادي من محبة شادن   أميل اليه وهو كالظبي رائع
وقلت لقلبي قم لنعشق شادناً   سواه فقال القلب ما أنا صانع

ومنها

ان السيوف كلها   قاطعة اذا انجلت
الا سيوف لحظـــه   إذا تصـدّت قتلت

ومنها

وصفت خصره الذي   أخفاه ردف راجح
قالوا وصف جبينه   فقلت ذاك واضح

ومنها

له عين لها غزل وغزو   مكحلة ولي عين تباكت
وحاكت في فعائلها المواضي   فيالك مقلة غزلت وحاكت

ومنها

عودا لصب بكى عليكم   يا جيرة ودّعوا وساروا
فدمع عينيه صار بحراً   وقلبـــه مـــا له قرار

ومنها

لا تبعثوا غير الصبا بتحية   ما طاب في سمعي حديث سواها
حفظت أحاديث الهوى وتضوّعت   نشراً فيا الله مـــا أذكاهـــا

ومنها

لم أنس ليلة بتنـا   والحب قد غاب عنا
وقد روى عنه لفظ   حتى حسبناه معنا

وقال

لم أنس أيام الصبا والهوى   لله أيام النجا والنجاح
ذاك زمان مرّ حلو الجنى   ظفرت منه بحبيب وراح

ومنها وهي من قصيدة طويلة ذكر ابن حجة في شرح بديعيته أنه مدح بها صاحب حماة

ثاني المعاطف كنت أول عاشق   في حبه ولكل ثان أول
يدنو فيحلو للمتيم لحظه   إذ ذاك لحظ بالنعاس معسل
وتميس منه شمائل لم أدر من   مشمولة أو حرّكتها شمأل
متلوّن الأوصاف سيف لحاظه   ماض ولكن هجره مستقبل

القسم الثاني

فيمـــن اشتهر في العشـــق
حاله ولم يدر مآله

(فمنهم) ما حكاه من له اعتناء بظرائف الأخبـــار ، قال نزلت داراً فوجدت مكتوباً على حائط

دعوا مقلتي تبكي لفقد حبيبها ليطفىء برد الدمع حرّ كروبها
ففي حبل خيط الدمع للقلب راحة فطوبى لنفس متعت بحبيبهـا
بمن لو رأته القاطعات أكفهـا لما رضيت الا بقطع قلوبهـا

فسألت فقيل كان بها تاجر يهوى غلاماً وانه أنفق عليه ثلاثين الف دينار حتى نفد ما معه فلم يدر ما تم من أمرهما .

* * *

(ومنهم) ما حكاه بعضهم ، قال دخلت درب الزعفراني ببغداد فرأيت غلاماً قد طرح شيخاً على التراب وهو يعضه ويضربه ، فقلت لا تفعل ذلك بأبيك وأنا أظن انه أبوه ، فقال حتى أفرغ أكلمك فلمـا فرغ أقبل عليّ وقال هذا الشيخ يزعم انه يهواني وله ثلاث ما رآني

× ×

(ومنهم) ما حكاه الأصمعي عن أبي نواس ، قال رأى غلاماً بمكة فعلقه وقال لأقبلنه عند الحجر ، قلت اتق الله في ذلك قال لا بدّ منه فدنا وقبله حين أراد أن يلثم الحجر وأنا أنظره ، فلما عنفته قال ان الله رحيم وأنشد

وعاشقـــان التف خداهما　　عند استلام الحجر الأسود
فاشتفيا من غير أن يأثمـــا　　كأنما كانا على موعـــد

× ×

(ومنهم) رجل بأفريقية كان يهوى غـــلاماً وازدادت محبته له حتى استغرقه الحال وانه انفرد ليلة يشرب فذكر تجني الغلام عليه وهجره له ، فأخذ قبساً فأحرق بابه ورآه بعض جيرانه فحين أصبحوا رفعوه الى القاضي وكان لطيفاً ، فقال لأي شيء فعلت هذا ، فأنشد

لما تمـادى على بعـادي　　وأضرم النار في فؤادي
ولم أجد من هواه بـداً　　ولا معينـاً على السهـاد
حملت نفسي على وقوفي　　ببــابه حمـــلة الجواد
فطار من بعض نار قلبي　　أكبر في الوصف منزناد
فأحرق الباب دون علمي　　ولم يكن ذاك من مرادي

فاستظرفه القاضي وحمل عنه ما أفسده

القسم الثالث

في ذكر من ساعده الزمان في المراد
حتى بلغه مـــا اراد

فمنهم ما حكى انه كان ببغداد رجل صوفي معروف بالزهد والعبــادة فهوى غلاماً جندياً حتى امتزج حبه بلحمه ودمه واشتهر أمره عند غالب غلمان الغلام لأن الصــوفي كان يتقصده في الطرق والمواكب لينظره ، فبينما الصوفي ليلة يصلي على سطحه إذ سمع صوت الغلام ماراً فسقط من على السطح فرآه الغلمان فضحكوا . فقال مولاهم ما لكم ؟ فقالوا لا شيء فأقسم عليهم فتقدم اليه بعضهم وأسر الخبر اليه وأعلمه أنه يهواه فقال منذ كم قالوا من زمان طويل فقال بئس المرء الذي لا يعرف من أحبه ثم نزل فاقعده ونفض عنه التراب فنقطت الشمعة على وجه الشيخ ففتح عينيه فرأى صاحبه فأنشد:

يا محرقاً بالنـــار وجه محبـــه رفقاً فان مدامعي تطفيـــه
حرق بها جسدي وكل جوارحي واشفق على قلبي فانك فيه

فحمله الي بيته ولم يفارقه بعدها وساق الحجـــازي في روض الآداب الحكاية عن الخياط الدمشقي .

* * *

(ومنهم) البحتري المشهور كان يهوى غلاماً اسمه نسيم فاشتراه حين

اشتدّ به بلاؤه فلما اشتهر حاله مازحه أبو الفضل يوماً وقال هل تبيعه قال لا قال خذ فيه الف دينار فأبى وكان لا يساوي أكثر من مائة فقال خذ الفين فقال احضرهما فأحضرهما واشتراه ومضى به فلم يلبث البحتري أكثر من يوم حتى ذهب عقله وأكثر التردد الى أبي الفضل فلم يجبه وزاد به الوجد فكتب اليه

أبا الفضل في تسع وتسعين نعجة ... غني لك عن ظبي بساحتنا فرد
أتأخذه مني وقد أخذ الهوى ... فؤادي له فيما أسرّ وما أبدى
وتغدو عليه صبوتي وصبابتي ... ولم يعده وجدي ولم يأله جهدي
وقلت اسل عنه فالمنية دونه ... وكيف بسلوان الظمآن عن الورد

فقال أبيعك اياه بجميع ما تملك في سائر البلاد فقال افعل فباعه بذلك فلما أصبح أقاله وقال إياك وهجر الأحرار فان لهم مكائد.

# #

(ومنهم) ما حكى عن الصاحب بدر الدين وزير اليمن انه كان له أخ جميل فاختار له معلماً ذاهيبة ووقار وأدب فكان يعلمه في بيته فامتحن الشيخ بحب الغلام وزاد به الحال فشكا يوماً الى الغلام أمره فقال ما أصنع وأخي لا يفارقني ليلاً ولا نهاراً فقال الشيخ ان داري ملاصقة لحائطكم فاذا كان الليل أتناولك فتجلس معي لحظة لطيفة ثم تعود فأجاب فلما كان الليل أظهر الشاب انه نائم فنام أخوه ففتح باب النافذ الى الحائط فوجد الشيخ واقفاً فأخذه ومضى فرآه قد هيأ مجلساً لطيفاً ما بين فرش وسماط ومشروب ومشموم فجلسا يتعاطيان الكأس وكانت ليلة البدر وأفاق الوزير فلم ير أخاه ورأى الباب مفتوحاً فاطلع فرآهما على تلك الحالة والكأس في يد الشيخ وهو ينشد

سقاني شربة من خمر فيه وحيا بالعذار وما يليه
وبات معانقي خد الخد مليح في الأنام بلا شبيه
وبات البدر مطلعاً علينا سلوه لا ينم على أخيه

فكان من لطفه ان قال والله لا أنم عليكما وانصرف . وذكر الحجازي بذكر هذا الاتفاق مناسبة لطيفة وذلك ان شخصاً كان يهوى غلاماً فمات فجلس يبكيه فطلع البدر فنظر اليه فلم يقدر أن يملأ عينه منه فأنشد

شقيقك غيب في لحده وتطلع يا بدر من بعده
فهلا خسفت وكان الخسوف لباس الحداد على فقده

فخسف من وقته .

# #

(ومنهم) الشيخ مهذب الدين بن منير الطرابلسي وكان أديباً ظريفاً عارفاً بالشعر والأدب وكان شيعياً وكان السيد المرتضى الموسوي نقيب الأشراف بالعراق والشام وغالب الممالك وكان بينه وبين مهذب الدين مودة قال ابن سعد في الطبقات لأن السيد كان رئيس أهل هذا المذهب وغيرهم وكان مهذب الدين من أجلاء طرابلس فبعث الى الشريف بتحف مع عبد أسود فأرسل الشريف يعاتبه في ذلك وكان معروفاً بالشهامة فمما قال له أما رأيت شراً من السواد حتى ترسله الينا وحكى قاضي القضاة ابن البراج ان مهذب الدين لم يرسل الى الشريف الا العبد فقط فكتب اليه أما بعد فلو علمت عدداً أقل من الواحد أو لوناً أشر من السواد لبعثت به الينا والسلام وكان مهذب الدين يهوى مملوكاً له اسمه تتر وكان لا يفارقه في نوم ولا يقظة وكان اذا اشتد غمه أو رمى بمحنة نظر اليه فزال ما به فحلف لا يرسل الى الشريف الهدايا الا مع أعز الناس عنده فجهزها مع مملوكه وأخذ يقاسي مشاق فرقته

فلما المملوك الى الشريف توهم انه مز جملة الهدايا تعويضاً من ذنب العبد فأمسكه وطال الأمر فلم ير ما ينكي به الشريف ويبغثه على ارسال المملوك الا إظهار التورع عن التشيع والدخول في مذهب أهـــل السنة وان دليل ذلك أمر عظيم أخرجه عن العقل حتى فارق مذهبه فأرسل اليـــه بهذه القصيدة يذكر فيها وجده بالمملوك وخروجه من المذهب وتلبسه بالتسنن وهي

عذبت طرفي بالسهر وأذبت قلبي بالفكر

ومزجت صفو مودتي من بعد بعدك بالكدر

ومنحت جثماني الضنى وكحلت جفني بالسهر

وجفوت صباً ما له عن حسن وجهك مصطبر

يا قلب ويحك كم تخادع بالغرور وكم تغر

والام تكلف بالأغن من الظباء وبالأغر

ريم يفوّق ان رمــا ك بسهم ناظره النظر

تركتك أعين تركها من بأسهنّ على خطر

ورمت فأصمت عن قسيء لا يناط بها وتر

جرحتك جرحاً لا يخيط بالخيوط ولا الابر

تلهو وتلعب بالعقو ل عيون أبناء الخفر

وكأنهنّ صـــوالج وكأنهنّ لهـــا أكر

تخفي الهوى وتسرّه وخفي سرك قد ظهر

أفهل لوجدك من مدى يفضي اليه فينتظر

نفسي الفداء لشادن أنا من هواه على خطر

عذل العذول وما رآ ه فحين عاينه عذر

قمر يزين ضوء الصبـــح جبينه ليل الشعر

ترمي اللواحظ خده فيرى لها فيـــه أثر

هـــو كالهلال ملثماً والبدر حسناً ان سفر

ويلاه ما أحلاه في قلبي الشقي وما أمر
نومي المحرّم بعده وربيع لذاتي صفر
بالمشعرين وبالصفا والبيت أقسم والحجر
وبمن سعى فيه وطا ف به ولبى واعتمر
لئن الشريف الموسوي ابن الشريف أبي مضر
أبدى الجحود ولم يردّ الى مملوكي تتر
واليت آل أمية الطهر الميامين الغرر
وجحدت بيعة حيدر وعدلت عنه الى عمر
واذاجرى ذكر الصحا بة بين قوم واشتهر
قلت المقدّم شيخ تيم ثم صاحبه عمر
ما سل قط ظبى على آل النبي ولا شهر
كلا ولا صدّ البتو ل عن التراث ولا زجر
وأثابها الحسنى ولا شق الكتاب ولا بقر
وبكيت عثمان الشهيد بكاء نسوان الحضر
وشرحت حسن صلاته جنح الظلام المعتكر
وقرأت من أوراق مصحفه براءة والزمر
ورثيت طلحة والزبير بكل شعر مبتكر
وأزور قبرهما وأز جر من لحاني أو عذر
وأقول أم المؤمنين عقوقها إحدى الكبر
ركبت على جمل لتصبح من بنيها في زمر
وأتت لتصلح بين جيش المسلمين على غرر
فأتى أبو حسن وسل حسامه وسطا وكرّ
وأذاق اخوته الردى وبعير أمهم عقر
ما ضره لو كان كف وعف عنهم إذ قدر

وأقول ان إمامكم ولى بصفين وفر
وأقول ان أخطأ معا وية فما أخطأ القدر
هذا ولم يغدر معا وية ولا عمرو مكر
بطل بسوءته يقا تل لا بصارمة الذكر
وجنيت من رُطب النوا صب ما تتمّروا اختمر
وأقول ذنب الخارجين على عليّ مغتفر
لا ثائر بقتالهم في النهر وان ولا أثر
والأشعريّ بما يؤو ل اليه أمرهما شعر
قال انصبوا لي منبراً فأنا البريء من الخطر
فعلاً وقال خلعت صا حبكم وأوجز واختصر
وأقول ان يزيد ما شرب الخمور ولا فجر
ولجيشه بالكف عن أبناء فاطمة أمر
والشمر ما قتل الحسين ولا ابن سعد ما غدر
وحلقت في عشر المحرّم ما استطال من الشعر
ونويت صوم نهاره وصيام أيام أخر
ولبست فيه أجل ثو ب للملابس يدّخر
وسهرت في طبخ الحبو ب من العشاء الى السحر
وغدوت مكتحلاً أصا فح من لقيت من البشر
ووقفت في وسط الطر يق أقص شارب من عبر
وأكلت جرجير البقو ل بلحم جونيّ الجفر
وجعلتها خير المآ كل والفواكه والخضر
وغسلت رجلي كله ومسحت خفي في السفر
وأمين أجهر في الصلا ة كمن بها قبلي جهر
وأسنّ تسنيم القبو ر لكل قبر محتفر

واذا جرى ذكر الغدير أقول ما صح الخبر
ولبست فيه من الملابس ما اضمحل وما اندثر
وسكنت جلق واقتديت بهم وان كانوا بقر
وأقول مثل مقالهم بالفاشريا قد فشر
مصطيحتي مكسورة وفطيرتي فيها قصر
بقر ترى برئيسهم طيش الظليم اذا نفر
وخفيفهم مستثقل وصواب قولهم هذر
وطباعهم كجبالهم خبثت وقدت من حجر
ما يدرك التشبيب تغريد البلابل في السحر
وأقول في يوم تحا ر له البصيرة والبصر
والصحف ينشر طيها والنار ترمي بالشرر
هذا الشريف أضلني بعد الهداية والنظر
ما لي مضل في الورى الا الشريف أبو مضر
فيقال خذ بيد الشريف فمستقرّ كما سقر
لواحة تسطو فما تبقي عليه ولا تذر
والله يغفر للمسيء اذا تنصل واعتذر
فاخش الاله بسوء فعلك واحتذر كل الحذر
واليكها بدوية رقت لرقتها الحضر
شامية لو شامها قس الفصاحة لافتخر
ودرى وأيقن أنني بحر والفاظي درر
حبرتها فغدت كزهر الروض باكره المطر
وبديعة كبديعة عذراء ترفل في الحبر
والى الشريف بعثتها لما قراها وانبهر
ردّ الغلام وما استمر على الجحود ولا أصر
وأثابني وجزيته شكراً وقال لقد صبر

فلما وصلت القصيدة الى الشريف ضحك وقال قد أبطأنا عليه فهو معذور وجهز المملوك مع هدايا حسنة فمدحه مهذب الدين فقال

الى المرتضى حثّ المطيّ فانه إمام على كل البرية قد سما
ترى الناس أرضاً في الفضائل عنده ونجل الزكيّ الهاشمي هو السما

وذكر ابن حجة ان مهذب الدين حين هادى الشريف كان ببغداد (قوله) وأقول مثل مقالهم يفسره ما بعده من الكلمات المهملة التي تستعملها أهل دمشق في الخلاعة المصطيحة خشبة في الاصل تجعل تحت دود القز ، وأهل دمشق يسمون الصولجان المنقوش مصطيحة ويكون معهم في المواسم وقد تظرّف في المبالغة في المجون والخلاعة حيث اللفظ فنسب القصر الى الفطيرة والكسر الى المصطيحة والمستعمل العكس فانهم يضعون الصوالج قائمة في لعبة ، فمن جاء صولجانه قصيراً أخرج من اللعبة فيقول مصطيحتي قصيرة وكذا في لعب الفطير يرّد من فطيرته مكسورة وقوله والى الشريف بعثتها الى آخر القصيدة قد يتوهم انه ملحق بعد رد المملوك وليس كذلك وإنما قاله تفاؤلاً وحسن ظن بالشريف واعتماداً على شهامته وهذا من مكر مهذب الدين لعلمه بسجايا الشريف

القسم الرابع

في ذكر من منعه الزهد والعبادة ان يقضي من محبوبه مراده

قد رأينا أن نجعل هذا القسم كالاستغفار بعد الذنوب ، والكفـارة لمن عزم أن يتوب لاشتماله على ذكر أقوام عصمهم الله من الوقوع في الخطأ وأسبل عليهم الغطا ، وهو نوعان

الأول فيمن سلم من القضاء الجاري فعصم عن الجواري في الصحيحين عنه ﷺ قال بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون إذا أصابهم مطر فأووا إلى غار فانطبق عليهم فقال بعضهم لبعض انه والله يا هؤلاء لا ينجيكم الا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم انه قد صدق فيه فقال واحد منهم اللهم ان كنت تعلم انــــه كان لي أجير عمل لي على فرق من أرز فذهب وتركه واني عمدت الى ذلك الفرق فزرعته فصار من امره اني اشتريت منه بقراً وراعيها وانه أتاني يطلب أجره فقلت أعمد الي تلك البقر فسقها فقال لي عندك فرق من أرز فقلت له أعمد الى تلك البقر فانها من ذلك الفرق فساقها فان كنت تعلم اني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساخت عنهم الصخرة ، فقال الآخر اللهم ان كنت تعلم انه كان لي أبوان كبيران وكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي فأبطأت عنهما ليلة فجئت وقد رقدا وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع وكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي فكرهت ان أوقظهما وكرهت

أن أدعها فيستكنا لشربتها فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر فان كنت تعلم اني فعلت ذلك من خشيتك ففرّج عنا فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا الى السماء ، فقال الآخر اللهم ان كنت تعلم انه كانت لي ابنة عم من أحب الناس إليّ واني راودتها عن نفسها فأبت الا أن آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت عليها فأتيتها بها فدفعتها اليها فأمكنتني من نفسها

فلما قعدت بين رجليها قالت اتق الله ولا تفض الخاتم الا بحقه فقمت وتركت المائة دينار فان كنت تعلم اني فعلت ذلك من خشيتك ففرّج عنا ففرّج الله عنهم فخرجوا

* *

(وحكى) ان رجلاً افتتن براهبة فتسوّر اليها وراودها فلم تمكنه الا بعد جهد ، فلما قدر عليها جعلت يدها في بجمرة فاحترقت فقال لأي شيء فعلت هذا ؟ قالت خفت أن أشاركك في اللذة فأشاركك في المعصية فحلف لا يعصي الله بعدها وتاب

* *

(وحكى) ان رجلاً عشق جارية فزاد حبه لها ولم يتمكن منها وان أهلها أرسلوها لحاجة فتبعها وراودها فقالت اني أحب لك منك لي ، ولكني أخاف الله فقال أتخافينه ولا أخافه ، ورجع فناله عطش كاد أن يأتي عليه ، فلقيه رسول لبعض الأنبياء فشكا ذلك اليه فقال له هلم ندعو الله ان تظلنا سحابة حتى نصل القرية قال ليس لي عمل فقال الرسول أنا أدعو وأنت آمن وفعلا فأظلتهما سحابة حتى انتهيا الى القرية فدعاه الرسول الى بيته فتبعتهما السحابة فقال له تقول ما لي عمل وقد تبعتك أخبرني ما فعلت فأخبره فقال ان التائب عند الله أحسن من العابد

(وحكى) ان عمر بن عبد العزيز عشق جارية لزوجته فاطمة بنت عبد الملك وزاد فيها غرامه فطلبها منها فأبت عليه ، فلما أفضت اليه الخلافة زينتها بأنواع الزينة ، ثم قالت يا أمير المؤمنين قد كنت أمسكت هذه عنك والآن فقد وهبتها لك فسر بها سروراً بالغاً ثم قال لها اخلعي ثيابك فحين همت أجلسها،ثم قال لها من أين جيء بك في الأصل قالت اغتصب الحجاج مال عامل فاصطفاني منه وأرسلني لعبد الملك فوهبني لأبنته فقال أحيّ هو ؟ قالت لا قال هل له ورثة ؟ قالت ولد ، فأحضره وأمره أن يذكر ما أغرم الحجاج أباه وأعطاه عمر رضي الله عنه ذلك الجارية وقال له احذر أن يكون أبوك نالها فقال هي لك يا أمير المؤمنين فأبى فقال أتبيعها ؟ فأبى، فقالت الجارية أين وجدك بي ؟ قال قد زاد ولكني أنهي النفس عن الهوى

* *

(وحكى) ان امرأة كانت في بني اسرائيل قد حازت ثلث الحسن ، وكانت لا تمكن من نفسها الا بمائة دينار ، فأعجبت شخصاً فمضى فجمع مائة دينار وجاء اليها فقالت ادفعها الى الجهبذ يعني الناقد ففعل ، فلما نقدها تهيأت وجلست على سرير من ذهب فحين تمكن منها خذته الرعدة فقالت خل عنك ولك المائة فقال أجبتك

فجمعت المال وجاءت به وقالت لئن صدقت فليس لي زوج غيرك فخرج فباعت متاعها وجاءته فحين رآها شهق شهقة فمات فقالت أما هذا فقد مات فهل له أحد قالوا له أخ فتزوجت به اكراماً له قال ابن عباس فجاء منها سبعة أنبياء

* *

وأما قصة بشر وهند فقد آلت بهـــا الشهر الى أن أفردت بالتـأليف

وحاصلها ان بشراً رجل من أسد ذكره الحافظ ابن حجر في القسم الأول من الاصابة ، وهند جهنية قيل ذكرت في حديث ساقط وكانت بالمدينة في ممر بشر الى رسول الله ﷺ فعلقته وتعرضت اليه بمراسلات بأشعـــار أظنها موضوعة لاهمالها فلذلك حذفتها ، فلما رأى بشر الحاحها هجر الممر وصار يأتي من غيره فلزمت الوساد وهمّ زوجها ان يدعو لها الأطباء فنهته وقالت أنا أعرف علتي ، فلما علمت الطريق التي يمر منها بشر أخبرت زوجها انهـا رأت في نومها انها متى سكنت في موضع كذا شفيت فنقلها من وقتها فكانت تنظر اليه فبرئت وأطلعت عجوزاً على أمرهـــا فوعدتها ان تجمعها به ، ثم وقفت له فسألته أن يقرأ لها كتاباً أو يكتبه ففعل وهند تسمع ، ثم قالت له العجوز أراك مسحوراً وما قلت لك الا عن يقين ثم وعدته ان يأتيها يوماً لتنظر له فيما يصلح له وقالت لهند قد سمعت فتهيء

فلما خرج زوجها الى بعض القرى وقد وعدت العجرز بشراً فجاء فحين جلس أدخلت هنداً عليه وأغلقت الباب فجاء زوجها فحين رآه ، طلقهـا ثم مضى به الى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله سل هذا لم دخل بيتي فقال بشر والذي بعثك بالحق ما كفرت منذ أسلمت ، ولا زنيت مذ عرفتك ، ولكن القصة كذا وكذا فأدّب العجوز وقال أنت أصل البلية وانصرفوا فلم يمكث بشر حتى ابتلى بحب هند وراسلها فامتنعت فلم يزل حتى مـات ، فجاءت فحين رأته سقطت ميتة ودفنا معاً ، فجاءت العجوز الى النبي ﷺ معتذرة فأخلصت توبتها

*

(وفي امتزاج النفوس) عن رجل من أصحاب الحديث قال دخلت ديراً كنت أعرف فيه راهباً معروفاً بالأخبار فوجدته مسلماً وجميع من في الدير ، فسألته عن السبب فقال عشقت جارية منا غلاماً عابداً وافتتنت به ودعته اليها فأبى ، فلما زاد بها الوجد أعطت مصوراً مالاً فنقش لها صورته فكانت

تقبلها وتبكي كل يوم الى الغروب وتنصرف فبلغها موت الغلام فعملت مأتمه ثم التزمت لثم الصور ، فلما أصبحنا وجدناها ميتة الى جانبها وعلى يدهـا مكتوب

يا موت دونك روحي بعد سيدها ... خذها اليك فقد أودت بما فيها
أسلمت وجهي للرحمـن مسلمة ... ومت موت حبيب كان يعصيها
لعلهـا في جنان الخلد يجمعها ... يوم الحساب ويوم البعث باريها
مات الحبيب وماتت بعده كمدا ... محبـة لم تزل تشفي محبيهـا

قال فشاع ذلك حتى بلغ المسلمين فأخذوها ودفنوها الى جانبه فرأيتها في النوم فقلت ما فعل الله بك فأنشدت

أصبحت في راحة مما جنته يدي ... وبت جارة فرد واحـد صمد
محا الإله ذنوبي كلها وغـدا ... قلبي خلياً من الأحزان والكمد
لمـا قدمت على الرحمن مسلمة ... وقلت انك لم تولد ولم تـلد
أثابني رحمة منـه وأسكنني ... مع من هويت جناناً آخر الأبد

فعلمت ان الإسلام حق فأسلمت وأسلم أهل الدير بسببها

*

(وحكى الشيزري في روضة العشاق) عن راهب أسلم ، وكان اسمه عبد المسيح ، قال سئل عن سبب اسلامه ؛ فحكى انه كان عندهم جـارية نصرانية تبيع الخبز أحبها شاب مسلم واشتد حاله في حبها فسلطت عليه الصغار فضربوه ، فلما علمت صدقه عرضت عليه نفسها في الحرام فأبى ، فعرضت عليه التنصر فأبى فأمرت الصغار بضربه حتى مات وهو يقول اللهم اجمع بيننا في الجنة فرأته في النوم وقد انطلق بهـا الى الجنة فمنعت لأجل الاسلام فأسلمت ، ودخل بها فأراها قصر من اللؤلؤ ، وقال هذا لي

ولك وستأتي بعد خمس ليال ، فاستيقظت فأسلمت ولزمت قبره حتى ماتت بعد خمس ليال فأسلمت لذلك

×××

(وحكى ابن عاصم) قال قال لي بعض أصحابي بالكوفة هل لك أن تنظر الى عاشق فقلت نعم فاني أسمع الناس يذكرون العشق فمضى بي الى دار فرأيت شاباً مطرقاً ساكتاً يكلمه الناس ولا ينطق وعلى يده وردة حمراء فقال صاحبي كأن فلانة أرسلتها اليك فحين سمع ذكرها رفع رأسه وأنشد :

جعلت من وردتها تميمة في عضدي
أشمها من حبها اذا علاني كمدي
فمن رأى مثلي فتى بالحزن أضحى مرتدي
أسقمه الحب وقد صار حليف الأود
وصار سهواً دهره مقارناً للكمد

فنهضنا فما بلغنا الباب حتى مات فرجعنا لنشهده فحين دفناه أقبلت جارية مسفرة ما رأيت أحسن منها ، فما تركت تراباً على القبر حتى جعلته على رأسها فجاء قوم فجروها فقلت ارفقوا بها فقالت دعهم يبلغوا همتهم ، فوالله لا ينتفعون بي ، فما انقضى اليوم حتى ماتت فسألت عن القصة فقالوا انه كان يعشقها فبذل في شرائها ملكه فأبوا عليه حسداً أن يكون عنده مثلها فأرسلت اليه تقول مرني بما شئت ، فأرسل اليها ان الزمي طاعة ربك ومولاك وأقبل على الزهد وهو مع ذلك لا يفتر عن ذكرها حتى بلغ الى ما رأيت

النوع الثاني في ذكر من بلغه زهده الامان
فعصمه عن الغلمان

وهؤلاء قوم جرت عليهم خصال البشر حتى افتتنوا باستحسان بعض الصور ثم عند ارادة النزوع ومقاربة الوقوع كشفت لهم حقائق الأحوال عن قبيح عواقب الأفعال فرجعوا الى أنفسهم فذكروها خشية الله فزجر كل نفسه حتى غلب على هواه

قال بعضهم مررت بمدائن قوم لوط فأخذت منها حجر الحاجـة فحين نزلت في دار جعلته في طبقة ، فجاء رجل ومعه غلام ولم يشعر بي فقضى منه وطراً فسقط الحجر عليه فمات فتعجبت من ذلك

x x x

فمن المذكورين صوفي يسمى المهرجان كان مجوسياً ثم حسن اسلامه قال من شهده رأيته ببيت المقدس ومعه غلام جميل ينام الى جانبه ثم يقوم فزعاً فيصلي ما شاء وينام وكان يفعل ذلك مراراً كل ليلة فاذا طلع الفجر قال اللهم أنت تعلم ان الليل قد مضى عليّ سليماً لم أقترف فيه فاحشة ولا كتبت الحفظة عليّ فيه معصية وان الذي أضمره في قلبي لو حملته الجبال لتصدعت أو كان بالأرض لتدكدكت ، ثم يا ليل اشهد بما كان مني فيك فقد منعني خوف الله عز وجل عن طلب الحرام والتعرض للآثام ثم يقول سيدي أنت جمعت بيننا

على تقى فلا تفرق بيننا يوم تجمع الأحباب ، فقلت له قد سمعتك تقول كذا وكذا فما الذي يدعوك الى عشرة من تخاف على نفسك منه فبكى وذكر ان مقصوده بذلك امتحان نفسه

+ + +

وعالج بعضهم نفسة في صحبة الأحداث بالهجر ، قال أبو حمزة رأيت صوفياً يصحب غلاماً دهراً طويلاً ثم هجره ، فسألته عن ذلك فقال وجدت نفسي عند الخلوة به تحدثني بما يسقطني من عين الله ففارقته ليثيبني الله ثواب الصابرين عن محارمه ويجمع بيننا في دار الكرامة

+ + +

قال ورأيت أيضاً رجلاً ومعه غلام يصحبه فمات الرجل فلم يبرح الفتى محزوناً فقلت له ما أراك تسلو عن صاحبك ، فقال كيف أسلو عن شخص أحسن تأديبي وعصمتي من الفسق .

+ + +

وحكى أبو حمزة الصوفي قال نظر رجل صوفي الى غلام جميل فافتتن به فأقعد فكنا نأتيه ونسأله عن حاله فلا يخبر به ، وبلغ الغلام حاله فعاده فهش له وضحك فأكثر من زيارته ، فقام وذهب مرضه فعزمه الفتى يوماً فأبى أن يذهب معه فقلت له لأي شيء امتنعت ، فقال لست معصوماً ، وأخاف أن تحدثني نفسي عند الخلوة بما يحجبني عن الله

+ + +

وحكى أيضاً ، قال صحب محمد بن قطن الصوفي غلاماً زمناً طويلاً ، فلما مات الغلام نحل حتى بدا عظمه ، فرأيته يوما وقد وقف على قبره يبكي والسماء تمطر فما برح حتى جئت في الغد فوجدته ميتاً فدفنته الى جانبه

وصحب أبو الحسن غلاماً كأنما خلق الحسن على صورته أو خلق من نفس من ينظر اليه فكان يأتي به الى بيته فتحدث الناس فيهما فمنع الغلام أهله من صحبة أبي الحسن فنحل حتى شارف الموت فأنشد

يا من بدائع حسن صورته تثنى اليه أعنة الحدق
لي منك ما للناس كلهم نظر وتسليم على الطرق
لكنهم سعدوا بامنهم وشقيت حين أراك بالفرق

ولم يزل حتى مات وغالب هذا الباب من رواية أبي حمزة عنهم والكل متقارب مكرر . انتهى ما أردنا تحريره من أحوال العشاق على اختلاف أنواعهم .

خاتمـــة في ذكر ما عولج به العشق من الدوا
وقصد به السلو عن الهوى

وهو الباب الرابع من الكتاب ، قد سبق في صدر الكتاب انه لا علاج للعشق على الأصح الا دوام الوصال ما لم يتمكن أو يوقع الحبال ، فمن العلاج ما ذكر عن عمر رضي الله عنه انه عالج بالتغريب وتشويه الخلقة وذلك انه مر ليلة في المدينة فسمع امرأة تقول

هل من سبيل الى خمر فأشربها　　أو من سبيل الى نصر بن حجاج
الى فتى ما جد الاعراق مقتبل　　سهل المحيا كريم غير ملجـــاج
نمته اعراق صـدق حين تنسبه　　أخي حفاظ عن المكروب فراج

فقالت لها امرأة معها من نصر ، قالت رجل أودّ لو كان معي طول ليلة ليس معنا أحد فدعا بها عمر فخفقها بالدرة ودعا بنصر فحلق شعره فعـــاد أحسن ما كان فقال له لا تساكني في بلدة يتمناك النساء بها ، وأخرجه الى البصرة وخافت المرأة فكتبت الى عمر تستعطفه

قل للإمام الذي تخشى بوادره　　ما لي وللخمر أو نصر بن حجاج
اني غنيت أبا حفص بغيرهمـــا　　شرب الحليب وطرف غيره ساجي
ان الهوى ذمه التقوى فقيـده　　حتى أقــرّ بالجـــام واسراج
أمنية لم أطر فيهـــا بطائرة　　والناس من هالك فيها ومن ناجي
لا تجعل الظن حقـــاً أو تبينه　　ان السبيل سبيل الخائف الراجي

وكان عمر قد سأل عنها فوصفت له بالعفاف، فأرسل اليها قد بلغني عنك خير فقري ، ومضى على نصر مدة بالبصرة فأزار عاملهـا ارسال بريد الى المدينة فدس نصر بن حجاج كتاباً يستعطف فيه عمر ويسأله العـود وفيه يقول

لعمري لئن سيرتني أو حرمتني وما نلت من شتمي عليك حرام

أئن غنت الذلفاء يوماً بمنيـة وبعض أمانيّ النساء غرام

ظننت بي الظن الذي ليس بعده بقاء فما لي في النديّ كلام

فأصبحت منفياً على غير ريبـة وقد كان لي في المكتين مقام

ويمنعني ممـا تظـن تكرمي وآباء صدق سالفون كرام

ويمنعهـا مما تظن صلاتهـا وحال لها في قومهـا وصيام

فهذان حالانا فهل أنت راجعي فقـد جب مني كاهل وسنام

فقال عمر أما ولي سلطان فلا ، وبعث اليه فاقطعه بالبصرة ما يعيش به، وقيل نزل نصر على مجاشع بن مسعود السلمي من بني عمه فأكرمه ورفع محله وسمى نصر بها المتمنى ، وكان تحت مجاشع شميلة بنت أبي حياء بن أبي بهر، وكانت من أجمل النساء فتولعت بنصر وتولع بها وزاد حبها فأخفياه ، وكان مجاشع آمناً فكتب لها نصر يوماً في الأرض أحبك حباً لو كان فوقك لأظلك أو تحتك لأقلك فكتبت هي وأنا ، وقيل قالت ذلك بلفظ خفي ، فقال مجاشع ما قال قالت يقول ما أحسن داركم ، فقلت وأنا قال ما هذا لهذا ، وجعل على الكتابة صحفة فحين أصبح دعا غلاماً فقرأها ، فقال هي طالق الفاً يا ابن أخي

فقال نصر وهي طالق ان تزوجت بها وقيل ضعف نصر من حبهـا فأرسلها مجاشع اليه بطعـام فمضت به فضمت نصراً الى صدرها وأطعمته بيدها فشفي من وقته فقال بعض الحاضرين قاتل الله الأعشى حيث يقول

لو أسندت ميتاً الى صدرها عاش ولم ينقل الى قابر

وقيل لما عادت عنه مات وعاشت شميلة طويلا وقتل مجاشع يوم الجمل ، وقيل اسمها خضراء وانها من بجيلة وانها أول من لبست الشنوف وقيل ان مجاشعاً حين طلقها أخبر أبو موسى بالقصة وكان عاملاً على البصرة ، فقال لنصر مـــا أخرجك أمير المؤمنين من خير أخرج عنا فأتى فارس فعلقته دهقانة فبلغ عثمان بن أبي العاص ، فقيل أخرجـــه الى الشام وقيل انه حين عزم على اخراجه قال ان اخرجتموني لحقت بالشرك فكاتبوا عمر فأمر بجز شعره وتشمير ثيابه والزامه المسجد والمتمنية هي فريعة بنت همام كانت إذ ذاك تحت المغيرة بن شعبة ثم تزوج بها يوسف الثقفي فأولدها الحجاج وبهـــا كان يضرب المثل فتقول العرب أصبأ من المتمنية وأدنف منها

ومن السلو عن الهوى استعمال الحساب والخوض في المشاجرات ونحو ذلك مما سبق

ومنه رقوات وكتابات

قيل وجد على قبر الملوك حميراً صحفة ذهب مكتوب عليها

ما أحسنت سلمى اليك صنيعها   تركت فؤادك بالفراق مروعا

قيل استخبرت كاهنة عن البيت قالت كانوا يكتبونـه مقلوباً ويسقونه العاشق فيسلو ، ومن الشائع بين العرب ان تراب قبر العاشق اذا شرب منة في خشب الطَرفاء يوم الاربعاء قبل طلوع الشمس أحدث السلو .

*

(وأخبرني) من أثق به بدمشق سنة خمس وستين وتسعمائة بالجـــامع الأموي ، قال عشق صديق لنا امرأة وازداد ولوعه بها حتى أنفد ما معه ، وهي تكثر التجني عليه ، ومرض من حبها حتى أيس من حياته وعزم على أن يشرب السم ليموت ، فشكا ذلك الى صاحب له في كفه يوم الثلاثاء عشر صادات وأربع عينات وثلاث يا آت وخمس ها آت وعشرين كافاً وأمره أن يلحس ذلك وكرر الفعل ثلاثاً فكان الله لم يخلق حبها عنده

*

(ورأيت في كتاب للبوني) سماه خزائن الأسرار في علم الحروف والاصفار انه من كتب سورة يس في نحاس ومحاها بماء المطر وشرب البعض واغتسل بالبعض سلا .

وقيل ان عين البوم اليسار ، وأظفار الخفاش اذا جعلت في جلد حمار وحش وحملت على العضد الأيسر أحدثت السلو ، ويقال ان حجر الجزع اذا علق فعل ذلك ولكن قد جرب ان حمله يورث الهم

الباب الرابع

في كر ما سوى البشر وما القوا من العبر

وهو نوعان (الأول) في الجنـة أسند المصنف عن الحافظ ابن حجر العسقلاني يرفعه الى البيهقي ، انه قال تزوج سعد بن أبي وقاص امرأة فرأى عندها على الفراش ثعباناً فهمَّ بقتله ، فقالت هـذا كان يتبعني وأنا في بني عذرة عند أهلي فقال له سعد هذه امرأتي تزوجتهـا على كتاب الله وسنة نبيه فماذا تريد منها ، فانساب حتى دخل مسجد النبي ﷺ وصعد في السقف فلم ير بعدها

* *

(ويحكى) عن الربيع بنت معوّذ ابن عفراء من طرق مختلفة كثيرة حكاية حاصلها ان جنياً أتاها في هيئة ثعبان أسود فعالجها فأتى بكتاب أو قال رق أو نحاس فيه بسم الله الرحمن الرحيم من رب الكبير الى الكبر أو قال من رب كعب الى كعب ليس لك على بنات الصالحين أو قال على أمتي بنت عبدي الصالح سبيل فقرصها قرصة بقيت الى الموت ، أو قالت جعـل يده في حلقي فاسود وأخبرت بذلك عائشة

* *

(وحكى) عن رجل انه سافر فجاء جني الى زوجته في زيه ، فلما جاء قال له لك ليلة ولي ليلة والا قتلتك فاني أحبها ، فاتفقا على ذلك فجاء الجني ليلة فقال أنا نسترق السمع بالثوية وهذه ليلتي فهل لك أن تكون معي قال نعم ، قال فحملني حتى لصق بالسماء فسمع قائلاً يقول ما شاء الله لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فوقع وراءك ، فصرت أقولها اذا جاء ، فيذهب الى ان مضى ولم أره ، وعندي في هذه بعد لأنه كان راكبه فكيف جاء الى أهله حين سقط الجني في الخراب

* *

(وأما حكاية الديك) فقد أورد المصنف بعضها ، وأصل ذلك ان رجلاً خرج لحاجة له فرأى شخصاً يمشي فتحادثا الى أن قربا من القرية ، فقال الشخص للرجل أنا جني وقد صار بيننا صحبة ، ولي اليك حاجة فهل تقضيها لي ؟ قال نعم ، فقال امض الى بيت فلان فان عندهم ديكاً أبيض معشراً ، فاشتره بما عساه أن يكون واذبحه ، فقال له كرامة ولكن أيضاً لي اليك حاجة فقال وما هي ؟ قال تخبرني اذا لبستم الانس ما الذي يخرجكم فقال الجني اني مقيدك ذلك بشرط ان تكتمه

فلما وافقه قال له خذ عني من أخذ من بين عيني حمار وحش قطعة كالسير فجعلها في عضده الشمال ولبس من حافره خاتماً لم يقربه جني، فمضى الانسي فاشترى الديك وكان عندهم جارية لم ير أحسن منها ، فحين ذبح الديك صرعت فجاؤا اليه وتعلقوا به ، فقال عليّ برؤها فمضى وصنع لها الخاتم والسير ، فحين دنا بهما منها صاح الجني وقال له أو على نفسي علمتك والله ان فارقتها مت فلم يلتفت اليه والبسها ذلك فذهب عنها

* *

النوع الثاني في ذكر من كلف وهو غير مكلف وأوهن العشق قواه حتي تلف او كاد ان يتلف

قد اسلفت لك في صدر الكتاب كيفية ارتباط العالمين في التكاليف وتداخل اللطيف في الكثيف واختلاف القوابل والفواعل، وقد رؤي استعداد كل لصاعد او نازل ، وان العشق سر يودعه الله في الأرواح عند صفائها وسهولة انقيادها ، ثم يختلف باختلاف البواعث والدواعي وميل النفوس بحسب مرادها فعلى هذا لا يخص نوعاً دون نوع من أحد الأجناس كما ترشد اليه أدلة التجربة والقياس ، غير انه تختلف الرتب كما لا يخفى على ذوي الأدب ، وقد صح كما سبق ان الانسان أفضل الموجودات لعلمه بأحكام الأحوال المختلفات فلذلك كان واسطة نظام هذا الشأن ثم ما يليه الأقرب فالأقرب من أنواع الحيوان حتى ينتهي القول الى الاجرام العنصرية وما بينها وبين الطبقات السماوية وحيث أنهينا الكلام في هذا المقام على ما يتعلق بالانسان فلنبين كيفية دخول العشق في باقي أنواع الأعيان فننظم هذا النوع في خمسة أصناف

*

(الصنف الأول في الطيور) هي الطف الحيوان مزاجاً لانحلال كثيفها بخرق الهوا وذهاب فضلاتها في نحو الريش ، فلذلك داخلها التألم بالنوى . حكى الحافظ عن بعض الثقات انه تفرد في معبد منقطع فوجد فيه حمامتين

يبيتان فاذا برق الفجر ذهبتا فلا يأتيان الى الليل، قال وكنت أشهد إحداهما تتخلف فتأتيها الأخرى بقوتها وداما على ذلك مدة

فلما كان يوم من الأيام خرجنا فاذا بباشق انقض فأخذ الواحدة ، فرأيت الأخرى تتبعه حتى غاب وأيست فعادت الى المبيت وفيه ريش فلقد رأيتها تتميز ريش المخطوفة حتى جمعته وجعلت تضرب بجناحها الأرض وتتمرغ على الريش وتضرب نفسها حتى نتفت ما أمكنها من ريش نفسها فقدمت لها أكلاً وماء ، فلم تلتفت لشيء، فلما طلع الصبح رأيتها ميتة والريش في فمها

*

(ورأيت في كتاب) لا أعلم مؤلفه سماه لطائف الأسرار وكيفية جريان الأقدار ، طالعته سنة تسع وخمسين ولم يكن لي إذ ذاك اعتناء بهذه الأشياء، ان غراباً كان يأوي الى حائط فيقيم به فجاء يوماً فوجد حية قد استولت على محله فذهب فجاء بحجر صغير فرماه عليها فماتت ، فقال من رآه انه رمى به ، وأخذ الحجر فتبعته فمضى حتى القاه في عش خطاف ثم صار يأخذ الماء والاكل فيمضي بهما الى أفراخ الخطاف مدة طويلة ولم أشعر يوماً الا وقد أقبل ومعه اثنان من الخطاطيف فباتا معه ودام على ذلك أياماً فبينا أنا يوماً إذا بالواحد منهما سقط فنزل الغراب فحمله فسقط فحمله عشر مرات فلم يستقر ساعة حتى رأيت الغراب يمزق نفسه حتى مات فقمت الى العش فرأيت الخطاف ميتاً والآخر الى جانبه يضطرب فمات وأنا أنظره قلت ولم أزل أفكر في هذا الحجر حتى وقفت على خواص الأحجار فرأيت ان داخل الصين أغواراً يسيل الماء فيها فينعقد حجراً اذا ترك مد وغزل وخيوطاً كالحرير تنسج منه أهل تلك البقعة ثياباً اذا اتسخت القيت في النار فيذهب ما فيها وانه قبل أن ينغزل اذا أخذ نفع من اليرقان والحصى وسائر السموم وانه يقتل الحيات بمجرد الرؤية وحذاق الحكماء تعمد الى

أعشاش الخطاطيف فتدهن فراخها بالزعفران فتظن أمهاتها ان اليرقاناعتراها فتمضي الى أماكن هذه الأحجار فتأتي بها فتأخذه الحكماء فسبحان من ألهم كل شيء رشده .

●*●

(وفي الكتاب المذكور) ان رجلاً اشترى زوج بط ، فلما ذبح الواحد جعل الآخر يضطرب تحت المكبة حتى رفعت عنه فجاء الى الدم فلم يزل يتمرغ فيه حتى مات

وقالوا ان أوفى الطيور في المحبة القمري والشفني أعني الفاختت وانه اذا مات أحد الزوجين تعذب الآخر فلم يأنس حتى يموت ، وكثيراً مـا سمعنا عـن البلبل والشحرور الحنين الى الغناء والملاهي والأصوات الحسنة وان بعض الطيور نزل على يد بعض الوعاظ حتى مات

* *

(وحكى عن سفيان) ان بلبلاً كان لولده وانه أقام يرعى ويأتي البيت حتى قيل انـه مضى مع الناس يوم موتـه الى القبر ورجع فاضطرب حتى مات

وأما قصه الزاغ فمشهورة جداً وهي ان السعدي قال وجه إليَّ يحيى بن اكثم بالمثلثة ، فدخلت واذا عن يمنه قمطر جلد يعني قفصاً ، فقال اكشفه فكشفته ، فخرج شخص نصفه الأعلى انسان والأسفل زاغ ، فقال لي كلمه فاستسميته فأنشد

أنا الزاغ أبو عجوه   أنا ابن الليث واللبوه
أحب الراح والريحا   ن والنشوة والقهوه
فلا عدوان لي يخشى   ولا يحذر لي سطوه

ولي أشياء تستظر ف يوم العرس والدعوه
فمنهـــا سلعة في الظهر لا تسترها الفروه
وأما الساعة الأخرى فلو كانت لهـــا عروه
لما شكت جميع النا س فيها انها ركوه

ثم قال يا كهيـــل انشدني غزلاً ، فقـــال يحيى قد استنشدك فأنشده فانشدته

أغرك ان اذنبت ثم تتابعت ذنوب فلم أهجرك ثم ذنوب
وأكثرت حتى قلت ليس بصارمي وقد يصرم الانسان وهو حبيب

فجعل يقول زاغ زاغ ونزل القمطر فقلت ليحيى أصلحك الله أو عاشق ايضاً ثم سألته عنه فقال لا أعرف منه الا ما رأيت وقد وجـه به صاحب اليمن الى أمير المؤمنين ولم يره بعـد ومعه كتاب لم أفضه أظن فيه أمره ، ورويت هذه القصة عن سوى السعدي وانه كان عند أحمد بن أبي داود وان الأبيات التي أنشدها للزاغ هي

وليل في جوانبـــه فضول من الاظـلام أطلس غيهبان
كأن نجومـــه دمع حبيس ترقرق بين أجفان الغواني

الصنف الثاني في ذكر بعض ما وقع للحيوان من امور العشق في اختلاف الازمان

حكى الشيخ قدس الله سره ان أعظم الحيوان ادراكاً من ذوات الأربع الخيل وانها أقرب من غيرها الى مزاج الانسان وقد بسطنا أحوال الحيوانات وما بينها من الاختلاف والاتفاق والقرب والبعد في كتب الزردقة

والخيل أحسن الحيوانات مزاجاً وإدراكاً حتى انهـــا لا تنزو على محرم أبداً ، قال الشيخ جيء لحصان بأخته مبرقعة فلما نزل عنها انكشف الثوب فعرفها فجعل يجري حتى القى نفسه من جبل شاهق فتقطع

+ +

وفي لطائف الأسرار ان رجـــلاً من أصفهان ولدت عنده فرس حصاناً وأخرى أنثى فأتلفا فكان اذا فرق بين واحـــدة وأخرى لا تمشي كل منهما ولا تأكل ولا تشرب وتصيح حتى تجتمعا ، قال وربما كان يطرح الأكل للواحدة قبل الأخرى فلم تذقه حتى يطرح للاخرى ، قال وشاهدت إحداهما تدفع بيدها حشيشاً الى الأخرى ، وان إحداهما مغلت فقصدها البيطار ، فلما رأت الأخرى الدم قطعت الرباط فجاءت فمرغت نفسها فيه حتى سقطت ميتة ، فلما رأتها المفصودة طرحت نفسها عليها فاذا هي ميتة

+ +

(وحكى فيه أيضاً ان ملك الهند بعث الى صاحب بخاري بفيل فأحسن خدمته ، فلما كان يوم حرب بينه وبين قندهار وهم يركبون الأفيال يقاتلون على ظهورها خرج به فحين اصطفوا نظر الفيل الى فيل آخر في ذلك العسكر ففلم حتى طرح ما عليه واخترق الصفوف حتى جاءه فانطرحا الى الأرض وجعل كل منهما فنطيسته على الآخر وجاء الناس ليفرقوا بينهما فاذا هما ميتان .

+ +

وفي اللطائف أيضاً ان غزالاً كان يأوي الى محل في جبل وان شخصاً رآه يتردد الى ذلك المحل فتبعه فرأى وعلاً في غار وبيده ألم لا يمكنه المشي ورأى مع الغزال قطفاً من عنب وهو يلقيه في فم الوعل فانصرف عنهما .

+ +

(وحكى فيه ايضاً) عن شخص بغدادي خرج في بعض أسفاره فبينما هو جالس في القيلولة وقد بسط سفرة ليأكل واذا بكلب أقبل فأخذ رغيفاً فقام وتبعه حتى انتهى الى غار فاذا فيه كلبة قد عطلت عن الحركة فجعل يكسر الرغيف ويضع في فمها ويترضاها فتعجب التاجر وانصرف

+ +

(وحكى) الجاحظ ان ملكاً من أقيال اليمن اعتنى بكلب فكان يلبسه الحرير ويطوّقه الذهب ويجعله معه حيث كان فألفه الكلب حتى كان اذا غاب عنه لا يستقر فاعتراه يوماً ضعف فخرج الملك الى الصيد وتركه في المطبخ وكان قد أوصى أن يطبخ له أرز بلبن ، فجعل الطباخ اللبن في القدر وخرج ليأتي بالأرز فخرجت حية من السقف فسقطت في اللبن والكلب ينظر وجاء الطباخ فرمى الأرز ولم يشعر حتى تهرّت وخشي الطباخ سطوة الملك وقد فاجأه بطلب الأرز ونذل وطلب أن يأكل في المطبخ فحين شرعوا في

وضع الطعام جعل الكلب يصرخ ويضطرب ، فقال الملك ما له ؟ فقالوا لا نعلم فقدم له طعام فامتنع وجيء بالأرز الى الملك فصاح الكلب واشتد وجده حتى قطع السلسلة ، وعاجل الملك قبل أن يأكل فوضع فمه في الطعـــام وأكل فتفزر جلده لوقته ومات ، فضرب الملك الطباخين واستنهرهم فأقروا فعلم ان الكلب فداه بنفسه لمحبته فكفنه في حرير وبنى علية قبة .

قال الجاحظ وهي الآن باليمن تسمى قبه الكلب

°°°

(وحكى) عن أبي العبرانه ، كان عنده حمـــار فمات فرآه في النوم ينشده شعراً يقول فيه انه مات عاشقاً فسأله المتوكل ما الذي كان من شأنه ، قال يا أمير المؤمنين كان أعقل من القضـاة ليس له هفوة ولا زلة فاعتل على حين غفلة فمات فرأيته في النوم فقلت له ألم أنق لك الشعير وأبرد لك الماء فما سبب موتك فقال أتذكر إذ وقفت بي على الصيدلاني يعني العطار قلت نعم قال مرت إذ ذاك أتان فافتتنت بها ومت ، فقلت وهل قلت في ذلك شيئاً قال نعم وأنشد

هام قلبي بأتان عند باب الصيدلاني
تيمتني يوم رحنـــا بثناياهـــا الحسان
وبخـــد ذي دلال مثل خد الشيقران
فيهـــا مت ولو عشت إذا طـــال هواني

فقلت له يا أبا معاذ وما الشيقران فقال أنا مشغول بما أنا فيه وهذ كلام تعرفه الحمير فاذا رأيتم حماراً ومن كان أولاً فسألوه فضحك المتوكل حتى سقط وأمر له بعشرة آلاف درهم وتنسب القصة فيما حكاه صاحب نديم المسامرة الى بشار فهذا ما أردنا تلخيصه من أمور الحيوانات

الصنف الثالث في ذكر ما جرى من القوة العاشقية والمعشوقية بين الانفس النباتية

نقل في لطائف الأسرار وبـه جزمت الحكماء ان أصح النبات وأعدله وأكمله خلقاً جمع أمور تسعة الورق والعود والثمر والنوي والصمغ والدهن والليف والقشر والاصول ، وقد كمل في النخل ذلك ، فهذا أعـدل النبات وفي الأخبار انه من طينة آدم وورد أكرموا عماتكم النخل ، وفي الصحيحين أتعرفون شجرة هي كالرجل المسلم الحديث ، وفي الفلاحة النبطية ان النخلة تخاف وتفرح وتعشق نخلة أخرى ، فقد صح ان النخلة اذا لم تحمل ضرب في أصلها بفاس ، ويقول شخص آخر لأي شيء هـــذا فيقول الضارب دعني أقطعها فانها لم تحمل فيقول دعها في ضماني العام فان لم تحمل فاقطعها ، فانها تحمل وقد جرب ذلك

* *

(وحكى) في النفائس ، قال زرع شخص أربع نخلات متقـــابلات فحسن ثمرهن سنين ثم أصيبت واحدة فيبست فلم تحمل التي في مقابلتها .

* *

(وحكى) أيضاً ان شخصاً كان له نخـــل وكانت واحدة منهن تزهر وتسقط قبل الانعقاد وربما تثمر ويسقط قبل البلوغ فشكا ذلك الى حاذق

فجاء حتى نظرها فقال انها عاشقة ، ثم دعا برصاص فصنع شريطاً وربطه منها الى نخلة أخرى هناك فحسن ثمرها تلك السنة ، ودامت كذلك وان صاحب البستان قطع الشريط لينظر فأسقطت الزهر فأعاده فصلحت .

٥
٥ ٥

(وحكى) بعض ذلك في الخريدة وأما ما بين الفلفل والكافور والتين والنفط والزنجبيل والازدارخت فأشهر من أن يحكى وغـــايه الامر أن يدعى الخواص ، فيقال ان شدة الائتلاف بين العاشق والمعشوق ، من قبيل الخواص .

الصنف الرابع فيما بث من الاسرار بين
اصناف الاحجار

اعتلاق المغناطيس والحديد مما لا يشك في وجوده ، وهذا لكثرة وجود المغناطيس والا فسائر المتطرقات أحجار من الجمادات تجذبها المشاكلة بينهما في الزئبقية والكبريتية وهذا ظاهر التعليل .

وأغرب منه مـــا حكي في اختصار الكائنات للمعلم ان بالبحر دابة كالأرنب يتولد في رأسها حجر اذا أخذ وأشير به الى اللحم أو الحيوان انجذب حتى يلصق بالحجر وفيه أيضاً ان شخصاً نزل بأرض اللؤلؤ مما يلي جزيرة رامهرام فوجد الشمس اذا أشرقت على أرضها ترتفع منها أشعة ، ثم تتراقص أحجـــارها وتضطرب حتى تجتمع فاذا غربت الشمس افترقت الأحجار .

الصنف الخامس فيما بث من الاسرار الملكية بين الاجسام والاجرام الفلكية وهذا منتهى الكائنات وسر الموجودات ومن حيث بدىء الشيء عاد عند مفارقة الفساد

أعلم ان الأيام والاجـــرام والبروج والكواكب والأجسام والدوائر متطابقة التأليف متوافقة التكييف قد تربعت جهة وريحاً وأقطاباً وطبعاً ، وتشعبت قوى وجوانب ونقصاً وزيادة الى غير ذلك فمثالها في الانسان اثنا عشر مخرجاً عينان وأذنان وفم ومنخران وسرة وثديان وسبيلان قد قيست بالبروج ونفس بالشمس إذ لا تزيد ولا تنقص وعقل بالقمر في قبول الحالتين والخمس الحواس بالخمس البواقي وهكذا الى درج في العروق ومفـــاصل بالجو زهرات والكل خدمة بلسان الشرع ملائكة ولسان الحكمة نفوس وعقول مجردة ، وفرع أهل الرياضة والروحانيات والارصاد على ذلك الاستخدام واستنزال الكواكب وتكليمها والطيران اليها وتحريك الجمادات الى غير ذلك مما بسطناه في كتبنا الحكمية وجارينا فيه أهل كل فن على مقتضى قواعدهم مما لا يليق بهذا المحل وهـــل ذلك الا قوة عاشقية فليعتبر أولو الابصـار وليتذكر أولو الألباب فسبحان من أوجد ذلك واستغنى عنه واثر فيه ومنه لا تغيره الازمان ولا تفنيه الاوقات ولا يعجزه اختلاف الأكوان

الباب الخامس

في تتمات يفتقر اليها الناظر في هذا الكتاب
ويحسن موقعها عند اولي الالباب

فذلك هو المشروع الجامع لما ذكر في المصارع وينحصر في فصول مختلفة وان كانت في الجنس مؤتلفه .

فصل في تحقيق معني الحسن والجمال وما استلطف
في ذلك من الاقوال

الأصل في المحاسن والمطلوب عند العقلاء في كل المواطن إنما هو اصلاح السرائر وتهذيب البواطن لا الظواهر وإنما ضم اصلاح الظاهر الى ما ذكر طلباً لتحصيل الكمال ودلالة في الأغلب على الاعتـدال ويتم الأول بتحسين المقاصد وإصلاح العقائد وقصر القلب على عتبات الحق في ذلك المواقف مستمداً بالمراصد مستعداً الأوامر الالهية وتلقى ما في تلك الصحائف وذلك كما قال محقق المقول ومهذب الفروع والأصول وجامع المراتب الباطنة والظاهرة ، وقطب دائرة الكائنات في الدنيا والآخرة .

ان في الجسد مضغـــة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب وصلاحه استعداده لقبول ما يجب فعله وترك ما يجب تركه وذلك متعذر الا بعد الأخذ بالحظ الأوفر من أمهات الأخلاق ، وهي الحكمة والشجاعة والمروءة والعدالة ، فانها لهذا المورد كالاخلاط للمزاج افراطاً واعتدالاً ، وخـــير الأمور سلوك الاعتدال للسلامة من الافراط والتفريط اللاحقين لكل من هذه كالتهور والجبن ولازم مما ذكرنا التخلق بالعفاف والزهد والصدق والورع والتسليم الى غير ذلك وعد قوم العفة أصلاً بدل المروءة لأنها تندرج في العدالة وبعض المتصوفة جعلى التسليم أصلاً ايضاً، وبالجملة فهذه الخصال الداعية الى حفظ ما به النظام من النفس والعقل والعرض والمال ، فان المتخلق بها محال أن يقع منه قتل أو أخذ ما يزيل عقله أو زناً أو تناول غير ما هو له فهذه أصول السياسة ونظام المدنية وموضع بسطها الحكمة بل ملازمة الشريعة المطهرة فقـــد أغنت عنها فهذه الأخلاق التي لا أجدر من وصف المتخلق بها بالحسن والجمال

وأما المحاسن الظاهرة اللائق ذكرها بهذا المحل واليها إشارة المترسمين ، وفيها غالب النثر والنظم فالعبارات عنها كثيرة ، والألفاظ فيها غزيرة ، قال بعضهم الحسن الصريح مـــا استنطق بالتسبيح أو هو تناسب الخلقة واعتدال البشرة وصفاء المادة أو مركب من الوضاءة والتناسب والصباحة

وقيل الحسن بياض اللون وسواد الشعر وكل منهما شطره ، والصبـــاحة كالملاحة ، والبياض والجمال مـــا أخذ بالبصر أو هو السمن اشتقاقاً من اسم الشحم

والصحيح انه معنى لا يدرك ويختلف باختلاف الأشخاص ودقة الأنظار وصحة التأدي الى الأفكار , وهذا معنى قولهالحسن ما زين الزينة واستحسن دونها والى ذلك كله أشرت بقولي :

جميلة الأوصاف لطيفة منظر مليحة عطف طاب منها المغارس
يدق عن الألباب إدراك حسنها وجلت فزلت عن علاها المقايس
منعمـــة لم تلبس الوشي زينة ولكن أحبت أن تزان الملابس
غرست بلحظي الورد في وجناتها ومن دمي المسفوك تسقي الغرائس
وجئت لأجني ما غرست فصدني من الجفن أسياف هناك وحارس

فلو لم يكن الحسن في نفس الأمر كذلك ، ولكل ذي نظر دقيق مالك ما اختلفت فيه العبارات ولا كثرت فيه الاستعارات، ولا بالغ كل في تحصيله بجده واعتقد التقصير عن حده ، والخلاف إنما هو بالألفاظ والمعنى المطلوب واحد كما هو رأي أهل التحقيق من سائر الموارد ، ومن ثم قال بعضهم

عباراتنا شتى وحسنك واحد وكل الى ذاك الجمال يشير

ولله در أستاذ عظر الوجود فيض وجوده ، واستمدت الكائنـــات من بحر فضله وجوده حيث حقق هذا المعنى وسبكه في أحسن مبنى بقولة

فكم بين حذاق الجدال تنازع وما بين عشاق الجمـــال تنازع

هذا هو الحسن العام وقد خصوا كل عضو بصفة ، فقالوا الحلاوة في العين والملاحة في الفم والجمال في الأنف ، والظرف في اللسان . وقالوا اذا حسنت العين فتمامها الدعج والفم فتمامه الفلج يعني في الثغر وطـلاوة الجبين البلج ، وبريق الوجنة الضرج .

وأحسن ما تكون المرأة اذا طال منها الاطراف والعنق والشعر والقامة وقصر منها العين واللسان واليد والرجل ، والمراد بالقصر القصر المعنـــوي كعدم الطموح بالعين وأخذ شيء فوق الحــاجة والخروج من بيتها وأبيض منها اللون والفرق والثغر وبياض العين ، والمراد بالثغر الاسنان ، أما اللثة فقد مدحت العرب سوادها ، والى ذلك أشار طرفة بقوله

سقته أيات الشمس الا لثاته   أسف ولم تكدم عليه باثمد

واسودّ منها الهدب والعين والحاجب والشعر ، واحمرّ منها اللسان والشفة مع اللعس يعني يسير السواد والخد وتشريب البياض بيسيرها ، ودق منها الحاجب والانف والسنان والخصر ، وغلظ منها المعصم والعجيزة والفرج والساق ، واتسع منهـــا الجبين والجبهة والعين والصدر وضاق منها المنخر والاذن والفم والفرج ، فهذه أوصاف بها جماع الحسن إذ كل مـا خرج عن ذلك كجعودة الشعر واستدارة الوجـه ونعومة البدن راجع اليها ، وانمـا العبارات الكثيرة تفنن في الأوصـاف وأهل الفراسة تجعل الجمـال الظاهر دليلاً على اعتدال المزاج .

وقال بعض الحكماء من نعم الله على العبد تحسين خلقه ، وخلقه واسمه قيل وصوته حكى بعض المفسرين في قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء يعني حسن الصوت .

وقال سقراط اذا حسن الله وجهك فلا تصف اليه قبيح المعاصي أو قبحه فلا تجمع بين قبيحين

وقال عليه الصلاة والسلام ان الله جميل يحب الجمال وكان يختار لحاجته صبيح الوجه حسن الاسم طلباً لاجتلاب القلوب ومن ثم كانت الانبياء عليهم السلام أكمل الناس لان غـاية بعثتهم الاتباع وعدم النفور فيجب انتقـاء موجبها فيهم وأوتي يوسف شطر الحسن ، وأما نبينا ﷺ محاسن الاخلاق والشيم وهذا هو المطلب الذي تكل عنه البصـائر ويقصر عنه كل ذي حد جائر واذا لم يتفق للعبد حسن السيرة والخلقة فالأولى الاول فانه من مطالب الحكمة التي غايتها السعادة وهي من الاعراض اللازمة ، والثاني من مطالب الشهوة وقد توقع في المحنة ولا بد وأن تفارق .

* *

(تنبيــه) قد وقع لهم تشبيه بعض الاعضاء بالحروف كالحاجب بالنون والعين بالعين والصدغ بالواو والفم بالصاد والميم والثنايا بالسين والطرة بالشين والقامة بالالف وربما شبهوا العين بالصــاد ايضاً وبالفواكه كالخدود بالتفــاح والشفة بالعناب والثدي بالرمان وبالمشمومات كالوجنة بالورد والعين بالنرجس والعذار بالآس وبالمعادن كالشفة بالعقيق والاسنان باللؤلؤ ، وقد وقع تشبيه الشفة بالمرجان ايضاً وبأشياء مختلفة كالوجه بالبدر والفرق بالصبح والشعر بالليل ومرسله بالحيه والصدع بالعقرب والوجنة بالماء والنار والريق بالخمر والثدي والسرة بحق العاج الى غير ذلك .

وللشعراء في ذلك على اختلاف مراداتهم وتخيلهم المقدمات الشعرية كلام كثير فمن أبدع ما رأيت في التشبيه بالحروف وبعض الاشياء كلام الاديب الحاذق علاء الدين الشاهيني من قصيدة طويلة كلها محاسن أولها

فمّ العذار بعارضيه وسللا وتضمنت تلك المراشف سلسلا

ومنها وقد حذف أداة التشبيه قصد المبالغة وهو من أساليبهم المشهورة قولــه

صبحا مع الجوزاء لاح لناظري متبلجاً فأزاح ليلا اليلا
من لي بغصن نقا تبدي فوقه قمر تغشى جنح ليل فانجلى

ومنها

كتب الجمال على صحيفة خده ببراع معناه البهيج ومثلا
فبدا بنوني حاجبيه معرفاً من فوق صادي مقلتيه واقفلا
ثم استمد فمد أسفل صدعه ألفاً الفت به العذاب الاطولا
فاعجب له اذ هم ينقط نقطة من فوق حاجبه فجاءت أسفلا
فتحققت في حاء حمرة خده خالا فعم هواه قلبي المبتلى
قسما بفاء فتور جيم جفونه لأخالفن على هــواه العــذلا

(وللشعراء) من الأسلوب المذكور وقد جمع الحيوان والحروف بقوله :

ارسل فرعا ولوى هاجري   صدغاً فأعيـــا بهما واصفه
فخلت ذا من خلفه حيـــة   تسعى وهذا عقرباً واقفه
ذى ألف ليست بوصل وذى   واو ولكن ليست العاطفة

وقال آخر

لا تقـــولي لا فمكتوب على   وجهك المشرق بالنور نعم
بحروف خلقت من قـدرة   ما جرى قط عليها من قلم
نونها الحاجب والعين بهـــا   طرفك الفتان ثم الميم فم

(نكتة)

اعلم ان الأساليب في هذا الباب دائرة التشبيه المجرد وبين جعل الحرف ونحوها من المشبه في العادة مشبها ومقابله في المحبوب مشبهاً به وفي كل ذلك اما أن تبقى الاداة أو تحذف وفي كل اما أن يرشح المعنى بأوصاف تزيـده حسناً اولاً وارفع الكل جعـــل الممدوح مسبهاً به محذوف الاداة مرشحـاً بلطائف الأوصاف وقلّ سالكه وعكسه معلوم ولى من الفن الثاني .

بروحي أفي من خلتها حين أقبلت   على أثر حزن تنثر الدمع في الخد
قضيبـا من الكافور يمطر لؤلؤا   من النرجس الوضاح في فرش الورد

ومنه وقد زدته على ما يلزمه التحسين الرد على أهل الأسلوب الاوّل

شمس الضحى كجبينك الوضـاح   أف لمـن جعلوه كالمصبـــاح
يا قدها ما الغصن لولا الميل مع   داعي الهـوى كالغصن بالأرياح
أنا فيك سكران الفؤاد معذب   أبدا وان أظهرت فعل الصاحي
فدع الملام وعـذل من لم يستمع   قـول النصيح وخلني ياصاح

ومما لم يعرج فيه على ذكر تشبيه بل أشعر فيه باجتباح المشبه به في العادة الى المشبه ما قلت

يهناك يا قلب من زارتك في السحر ولم تخف ثم من واش ولا ضرر
حسناء لو لم تعاين نور طلعتها شمس الضحى ما بدت يوماً على بشر
ووجهها لو رآه البدر واحتجبت عنه ذكا لم تخف نقصاً على القمر

(فصل في خفقان القلب والتلوين عند اجتماع المحبين)

أعلم أن مدار تلوّن البدن اما على الخلط أو شدة الحرارة أو ما تركب منها والاول يلزم حالة واحدة أما البياض في البلغم أو الحمرة في الدم أو الصفرة في الصفراء أو السواد في السواد وما تركب بحسبه مع مراعاة الطواريء كقرب الشمس أو جبل أوسد جهة وهذا المبحث هو المعروف عند الأطباء بالألوان وعند العامة بالسحنة وموضع تحقيقه الطب والثاني يلزم السمرة وان غلب البلغم وأما الثالث فهو الذي تناط به أمثال هذه الأحكام وحاصل القول فيه ان الجلد شفاف يحكى ما تحته وان الباعث إليه الاخلاط هو الحرارة فهي كالنار ان اشتدّت صعدت ما لاقته وموضعها القلب وحركاتها مختلفة ما بين غضب وحياء وقهر وغيرها أما الى داخل دفعة أو تدريجياً أو الى خارج كذلك أو اليها وموضع بسطه الحكمة والذي يخصنا من ذلك هنا أن نقول أن استيلاء سلطان المحبة والعشق من المعشوق على العاشق أعظم استيلاء من سلطان القهر والعظمة والناموس السلطاني حتى قال بعض الحكماء لكل مرتبة من مراتب المحبة حد الا محبة العشق فلا حدّ لها وقال بعضهم ان تعلق روح العاشق ببدنه كتعلق النار بالشمعة الا انه لا يطفئها كل هواء إذا تقرر هذا وجمع الى ما قررناه من مراتب تحريك الحرارة ظهر علة اصفرار لون العاشق وارتعاد مفاصله وخفقان قلبه لأن الاستبشار بالاجتماع الموجب للفرح المنتج لحركة الحرارة الى خارج لتؤثر الحمرة وصفاء اللون يعارضه لشدة الشفقة الخوف من نحو واش وسرعة تفريق واليأس الموجب لاخماد الحرارة أو جذبها الى داخل المنتج لصفرة اللون أو الموت فجأة ومن ثم إذا أمن من ذلك لم يقع تغير كما قيل

فلا تحسبن كل اجتماع مغيرا فان اجتماعي بالأمان أماني

وأما حمرة المعشوق فهي اما حياء وإما خجـل وكل منهما باعث للحرارة الى خـارج ونتيجته احمرار الألوان وصفاؤهـا فأفضل الالوان الاحمر الصافي المشرق مطلقاً حتى في الثيـاب كالحلل والمشروب والمشموم كالورد والشقيق والحيوان كالخيل والمعادن كالذهب والياقوت الى غير ذلك ومنه أهلك الرجال الاحمر ان يعني الخمر واللحم والنساء والاحامر الذهب والزعفران والخمر واللحم ولبعض الشعراء

ان الاحامرة الثلاثة ضيعت	مالي وكنت بهن قدماً مولعا
الخمر واللحم السمين كذا الطلا	بالزعفران فلا أزال مروّعا

وقال المتنبي

من للجآذر في زيّ الاعاريب	حمر الحلى والمطايا والجلابيب

واحب ما يكون إليهم منه ما كان في الوجنات والشفاه قال ابو نواس .

يا قمر ابصرت في مـأتم	تنـدب شجوا بـين اتراب
تبكي فتذري الدر من نرجس	وتلطم الورد بعنـــاب

وأما وصفهم الموت بالاحمرار والدمع الناشيء عن شدة الحرقة بالحمرة فليس طعناً فيها بل مدح لأنهم أرادوا انها من المطالب التي لا تنــال إلا بالمشاق والصعوبة ومن ألطف ما وصف به الدمع قول عماد الدين

أرى العقـد في ثغره محكمـا	يرينـا الصحـاح من الجوهر
وتكملة الحسن ايضاحهـا	روينـاه عن وجهـك الازهر
ومنثور دمعي غـدا أحمـرا	على آس عـارضـك الاخضر
وبعت رشادي بغيّ الهـوى	لأجلك يـــا طلعة المشترى

(ومن ألطف ما يعجبني) في وصف المعشوق بالأحمرار والعاشق بالاصفرار قول ابن أبي الحديد من قصيدته التي أوّلها

الصبر الا عن فراقــك يجمل	والصعب الا من ملالـك يسهل

يصفر وجهي حين أنظر حسنه خوفاً ويدركه الحياء فيخجل
فكان ما بخدوده من خمرة ظلت إليها من دمى تتنقل

(وقال بعض المتأذبين) لم يقع في هذا المعنى ألطف من البيتين المنسوبين الى الى أبليس وهما

وحمراء قبل المزج صفراء بعده بدت بين ثوبي نرجس وشقائق
حكمت وجنة المعشوق صرفاً فسلطوا عليها مزاجاً فاكتست لون عاشق

وقيل أنشدهما لابن دريد في النوم فاعترضه بأنها من اللف والنشر المشوش فقال له وما هذه المشاحنة في هذا الوقت يا بغيض (**تنبيه**) قد توسع الناس في هذا المبحث فخرجوا منه الى التفضيل بين السمر والبيض وخاضوا بسبب ذلك في كلام عريض فمن قائل بتفضيل السمر مطلقاً وقوم البيض وآخرون فصلوا فقالوا ان كلا يميل الي عكس لونه وهذا تحكم وحكم على الطبائع والامزجة بلا دليل والصحيح ان الميل أما بداعية الشهوة أو النفع ولاضبط للاوّل لاختلافه باختلاف الأشخاص وأما الثاني فالقوا فيه أما بحسب معتدل المزاج فالروميات حينئذ في نحو الحجاز انفع كما ان الحبشيات في نحو الروم اجود لأن حرارة الأبدان تختبيء في الأغوار زمن البرد بالعكس وأما بالعكس واما بحسب المرضى فالسود للمبرودين أجود والبيض للمحرورين كذلك وعندي أن عكس هذا اجود لما سمعت من التعليل والصحيح أن الحبشة ألطف مما عداهم مزاجاً وأرق بشرة واعدل حرارة فلذلك هن أوفق مطلقاً ولكنهن في معرض التغيير وموضع تحقيق ذلك في الطبيعيات وأما الحكم على المصريين بانهم الى السمر اميل فمن قبيل ما قررناه من التحكم ومن ألطف الاشعار المقولة في التفضيل قول علي بن الجهم

وعائب للسمر من جهله مفضل للبيض ذى محك
قولوا له عني اما تستحي من جعلك الكافور كالمسك

وقال أبو جعفر الشطرنجي

اشبهـك المسك واشبهته قائمة في لونـه قاعـده
لا شك إذ لونكما واحـد انكما من طينه واحـده

وقلت في ذلك

اری السمر أشهی منظراً عندعارف وأشرف مطلوباً سما في المطالب
فقل للذي قد فضل البيض جاهلا رويدك لا ترغب لغير مناسب
فكم بين قيراط من المسك قيمة وقنطـار ثلج بارد من مراتب

وقلت في عكس ذلك

بيضاء تجـلو الهم عن ناظري بعين حق لا بعـين انتقاص
فقـل لمـن يرغب في اسمر ما الفضة البيضاء مثل الرصاص

وإذا أحكمت ما قرّرناه من علة اصفرار الألوان علمت ان خفقـان القلب عند الاجتماع أو الرؤية من لازم ذلك الشأن وقد لهج الشعراء بالاعتـذار عن ذلك وأكثروا فيه من التشعب والمسالك فمن الطف ما قيل فيه قول الوراق.

يقـول لي حـين وافى قـد نلت مـا ترتجيه
فما لقلبـك قـد جـا بخفقة تعتريـه
فقلت وصلـك عرس فالقلب يرقـص فيـه

وألطف منه قول البها زهير

لا تنكروا خفقـان قلبي والحبيب لدي حـاضر
مـا القلب إلا داره دقت له البشائـر

وتظرّف ابن عنين بزيادة ظرافة على الاعتذار عن الخفقان حيث قال

ان كان لا بدّ من رقـادي فاضلعي هـاك كالوساد
فنم على خفقهـا هـدوّاً كنومة الطفل في المهـاد

وكثيراً ما تتبعت كلامهم فلم ار من جمع بـين الاعتذار عن تغير اللون والخفقان فقلت في ذلك

قالت أراك إذا عاينتني وجلا عديم لون بهيج كنت تملكه
والقلب منك خفوق لا يسكنه شيء فياليت شعري ما يحرّكه
فقلت ما تدران الشمس انجمعت بالبدر بعد تمام النور تنهكه
والطير ان الف الغصن الرطيب وقد مادت به الريح هل يخفى تحرّكه

وفي الأبيات مع ما ذكر وصفها بالشمس فتكون هي المفيدة للمحاسن والآخذة لها كما بين الشمس والبدر ثم جعلها اغصاناً يميل مع الهواء والقلب طائراً عليه وكل ذلك زيادة على المطلوب وأما وصف خفقان القلب من غير نظر الى الاعتذار عنه فكثير قال ابن سنا الملك .

أما والله لولا خوف سخطك لهان عليّ ما ألقي برهطك
ملكت الخافقين فتهت عجباً وليس هما سوى قلبي وقرطك

وقال معين الدين :

لم انسه إذ قال ابن تحلني حذراً عليّ من الخيال الطارق
فأجبت في قلبي فقال تعجباً أرأيت عمرك ساكناً في خافق

وقد نسب ابن تقي الى الجفوة في قوله

ومهفهف مالك به سنة الكرى زحزحته شيئاً وكان معانقي
أبعدته عن أضلع تشتاقه كي لا ينام على وساد خافق

فقيل انه لو قال باعدت عنه أضلعاً لكان أولى بالمقام

(فصل في مراتب الغيرة وما توقعه بالمحب من الحيرة)

وهي باعثة نفسية مادتها المروأة والمحبة ثم تزيد وتختلف بحسب الدواعي والأشخاص والمحمود منها ما كان واقعاً عند مشاهدة نقص في ناموس الهي وحكم ديني ونمط شرعي فتبعث المتانة في الدين والمروأة على اصلاح ما نقص باليدان ما أمكن ثم اللسان ثم القلب وهذا هو الذي ترجمه الشاعر بالامر بالمعروف

والنهي عن المنكر ثم توسع الناس فيها فأضافوا إليها سوء الظنّ فوقعوا بذلك في مفاسد كثيرة كنهي بعض جهلة المتصوفة عن ذكر الله غيرة عليه والحج والصلاة وغير ذلك مدّعياً انه ليس بأهل لهـا وقتل بعض العشاق من يتوهم منه ميلاً إلى محبوبه بل نفسه بل معشوقه ولهم فيها كلام كثير في قوالب شتى فبعضهم يغار من السواك والشربة والثوب وأمثال ذلك غير اني لم أر من غاص على لطائف هذا المعنى وتظرف في هـذا المبنى الطف من بهاء الدين زهير حيث غار من التلفظ بالحروف التي في اسم محبوبه فالله دره من غائص على نفائس الجواهر الفكرية ومستخرج لها من بحور الاذهان الى بحور الألفاظ الرسمية

وذلك قوله

وأنزه اسمك ان تمر حروفه	من غيرتي بمسامع الجلاس
فاقول بعض الناس عنك كناية	خوف الوشاة وأنت كل الناس

الا ان فيه بحسب ما يظهر مناقشة فان ظهر كلامه انه يجوز التلفظ بأسمها من فم نفسه بمسامع الجلاس وذلك غير جيدوادق منه واسلم وان كان هذا أسجم قول يزيد بن معاوية

الافامل لي كاسات خمر وغنّ لي	بزكر سليمي والرباب وتنعم
واياك ذكر العامرية انني	اغار عليها من فم المتكلمي
اغار على اعطافها من ثيابها	اذا لبستها فوق جسم منعم
واحسد كاسات تقبل ثغرها	اذا وضعتها موضع اللثم في الفم

ومن ليطف كلام ابن ابي الحديد في هذا المعنى

فيا رب بغضها الى كل صاحب	سواي وقبحها الى كل ناظر
وبغض اليها الناس غيري كما أرى	قبيحا سواها كل باد وحاضر
فياجنة فيها العذاب ولم أخف	حلول عذاب في الجنان النواضر

ومما ينسب الى قيس

أرى الازار عـــلى اليلى فاحسده　ان الازار على ماضم محسود

وقال ابو تمام

بنفسي مــن اغار عليهــا منى　وتحسد مقلتي نظري اليه
ولو أني قــدرت طمست عنه　عيون الناس من حذري علية
حبيب بث في قــلبي هــواء　وامسك مهجتي رهنا لديه
فروحــي عنده الجسم خـــال　بلا روح وقلبي في يديه

ومما سنح لي في ذلك قولي

نظرت اليها والسواك قد ارتوى　بريق عليه الطرف مني باكي
تردده مــن فـــوق درمنضـــده　سناه لانوار البروق يحاكي
فقلت وقـلبي قـد تفطر غـــيره　اياليتني قد كنت عود اراك
فقالت أما ترضى السواك اجبتها　وحقك مالي حاجة بسواك

فصل في احكام اسرار المحبة وما فيها من اختلاف آراء الاحبة

قد اختلفت آراء الحذاق وتشعب مرادات العشاق فمن ذاهب الى ان الافضل خزن الاسرار وان ذلك من فعل الاحرار ومن قــائل ان افشاءها يسر القلب ويسري الكرب ومن قائل بالتفصيل وان الاذاعة الى المحبوب مطلوبة اذ هو الطبيب وكتم العلة عنه تعذيب وأما الاباحة لغيره فغير جائزة في مذهب المحبين وفاعلها ممقوت ومن اكبر المذنبين وهذا الطريق قد ادعى في ديوان الصبابة انه الكاشف عن وجهه نقابة ولا والله ماله فيه ذرة ولم يكن ارتضع مـــن هــذا اللقح درّه وانا أنبه على مـــن استنتج هـــذه

الآراء المحرّرة ودوّن هذه المذاهب المحبرة فأقول أعلم أن الطرق الثلاث موجودة في كلام صاحب النفحات القدسية والالطاف الربانية المعطر بنفثات فيه الاقطار القائم بأعباء المحبــة والاسرار قطب دائرة الوجود على رغم كل معارض سيدي عمر بن القارض أفاض الله علينا من امداداته وشملنا بالطاف

عناياته فمن كلامه في المذهب الاوّل وهو الحقيق بالنصرة وعليه المعول .

وللحب أقوام كـرام نفوسهم   منزهة عمـا سوى الحب يا خلي
إذا أودعوا سرا رأيت صدورهم   قبور الاسرار تنزه عن نقـل

ومن قوله في المذهب الثاني وهو صريح في استيفاء الشروط المذكورة .

وابثثتها ما بي ولم يـك حاضري   رقيب بغى سري بخلوة جلوتي

ومن قوله في المذهب الثالث بـل هو أعم من هذا المشرب وقابـل لكل مطلب

ويحسن إظهـار التجلد للعـدا   ويقبح غير العجز عند الاحبـة

ثم لهج الناس بهذه الطرق فمن قول بعضهم في المذهب الأول

باح مجنـون عامر بهـواه   وكتمت الهوى فمت بوجدي
فإذا كان في القيامة نودي   من قتيل الهوى تقدمت وحدي

وأما كلام السهروردي فكأنه وقف عن كلا الطرائق وتردّد وحـيرة للعاشق وهو

وارحمـة للعاشقين تحمـلوا   سر المحبة والهـوى فضاح
بالسر ان باحوا تبـاح دماؤهم   وكذا دماء العاشقين تبـاح
وإذا هم كتموا تحـدث عنهم   عند الوشاة المدمـع السفاح

وللوثائق في المذهب الثاني

ظهر الهـوى وتهتكت أستاره   والحب خـير سبيله اظهـاره
فاعص العواذل في هواك مجاهراً   فالذ عيش المستهـام جهـاره

ولبعضهم فيه

فبح باسم من تهوى ودعني من الكنى   فلا خير في اللذات من دونها ستر

ولبعضهم في المذهب الثالث

يا موقد النار الهابـاً على كبدي   إليك اشكو الذي بي لا إلى أحد

إليك أشكو الذي بي من هواك فقد   طلبت غيرك للشكوى فلم أجد

ومن ظريف قول بعضهم

وقائلة ما بال جسمك لا يرى   سقيماً وأجسام المحبين تسقم
فقلت لها قلبي بحبك لم يبح   لجسمي فجسمي بالهوى ليس يعلم

وللمعري في نصرة الأول

فظنّ بسائر الاخوان شرا   ولا تأمن على سر فؤادا

وألطف منه قول ابي جعفر الشطرنجي

فلا تخبر بسرك بل أمته   وصير من حشاك له حجابا
فما أودعت مثل النفس سرا   ولا أغلقت مثل الصدر بابا

ولقد أحسن بعضهم وتلطف وأبدى ما هو أدق والطف حيث قال

ومستودعي سراً تقصيت سره   فاودعته من مستقرّ الحشا قبرا
وما السر في قلبي كميت بحفرة   لأني أرى المدفون ينتظر الحشرا
ولكنني كنت أخفيه حتى كأنه   من الدهر يوماً ما احطت به خبرا

ولبعضهم

يا ذا الذي أودعتني سره   لا ترج أن تسمعه مني
لم أجره بعدك في خاطري   كأنه ما مرّ في ذهني

فهذا وأمثاله من أكبر الدوال على أنّ المذهب الأول هو الصحيح المعتبر وما اتهم به بعض الشراح عارف الزمان ولسان الحضرة الالهية وموضع الاسرار الربانية سيدي عمر ابن الفارض من انه نصر المذهب الثاني بقوله .

وليسوا بقومي ما استعابوا تهتكي   فابدوا قلي واستحسنوا فيك جفوتي
وأهلي في دين الهوى أهله وقد   رضوا فيك عاري واستباحوا فضيحتي

فممنوع لان التهتك الذي أراده هو الاشتهار بالعشق لا اذاعة الاسرار

بدليل قوله رضوا فيك عاري يعني أن أهل الهوى عندهم هم الراضون بعشقه العادّون وعاره في ذلك خصلة حميدة فاين هـذا مما نحن فيه وقد أسلفت في المقدمة ان دقائق هذا الاستاذ ليس في طوق البشر من حيث هو بشر الاحاطة بها فإذا استدلينا بشيء منه فهو استئناس لاهل الترسم في مشربهم وفيما ذكرت من قصة المنام كفاية للمتأمل وبالجملة فافشاء السر بلاء عظيم ومذلة لا يرتضيها عاقل وأغرب بعضهم ففسر قول بعضهم (وكل حديث جاوز اثنين شائع) بأن المراد بالاثنين الشفتان وقلت من الاول .

لقـد أودعتني سرهـا فكتمته	ولا والهوى ما غير البعد خاطري
ولكن جوي الكتمان صعد مهجتي	وقطرها دمعاً جرى من محاجري
فشف لطول السقم جسمي من الذي	كتمت فأبدتـه هناك سرائري
فنم بـه الواشون بيني وبينهـا	فصدّت وقالت لا وفاء لغادري
فقلت وقد ضاقت هناك مذاهبي	ومن كان قدما عاذلي صار عاذري
فمن شافعي يوماً إليها ومالكي	هواها وعن سرّي يحدث ظاهري

ومن الثالث

يا معشر العشاق أوصيكم	بكتم اسرار الهوى والغرام
الا مـع المحبوب في خلوة	فثم كتم السر عندي حرام

ومنه أيضاً

بوصلك والودّ الذي كان بيننـا	حلفت ولا والله ما أنا غـادر
لانت أعز الناس عنـدي وسرك	بقلبي باق يوم تبـلى السرائر
فان لم يجد لي الدهر منك بخلوة	ففي الحشر تشكوه إليك الضمائر

(فصل في ذكر المغالطة والاستعطاف واستدراك ما صدر عن المحبوب من الانحراف)

وهو عبارة عن احتيال بلطافة على المحبوت يبلغ من الحكمه غاية المطلوب ، وموضوعه عود الالفة بعد النفور ومادّته قيسة شعرية غالبها الزور وغايتـه الوصول الى المطلوب واستمالة قلب المحبوب والطف ما قيل فيه لابن الاحنف

كان لم يكن بيني وبينكم هـوى ولم يـك موصولاً بحبلـكم حبلى
واني لاستحي لكم من محـــدثي يحدّث عنكم بالملالة والمطـــل

وقال آخر

أتنسب لي ذنباً ولم أك مذنبـاً وحملتني في الحب مالي أطيقـه
وما طلبي للوصل حرص على البقاء ولكنه اجر اليك أسوقـــه

وقال ابن أبي حجلة :

لم أطلب الوصل من اجلي فديتك يا من زاد قلبي سواداً منه شامات
لكن خشيت بان تبلى بحب رشا يقتص لي منك والدنيا مكافـأة

وقال جميل

وماذا عسى الواشون ان يتحدثوا سوى أن يقولوا انني لك عاشق
نعم صـدق الواشون أنت حبيبة اليّ وان لم تصف منك الخلائق

وقال ابن سنا الملك

وغانية لم تعد عشرين حجـة أقول لها قولا لديـــه صواب
عليك زكاة فـاجعليها وصالنـا لأنك في العشرين وهي نصاب

وقال بعضهم

قم بنا يا نور عيني نجعل الشك يقينا
قالى كم يا حبيبي يأثم القائل فينا

وقلت

تملكت أوصاف المحاسن والبها وزينت أرباب اللطافة والعقل
فمذ اعجز الحساد شيء تقوله رموك بأوصاف القطيعة والبخل
فلا تثبتي بالهجر زور كلامهم ولكن صليني وابطلي الزور بالنقل
ولا تمطلي بالوعد قلباً معذباً وان صح ان الشيء يعذب بالمطل

فصل في ذكر الرسل والوسائل
وتلطف الاحباب بالوسائل

وهو باب قد لهج به لسان كل عاشق وترجمه كل رائق وموضوعه الاستعطاف بالانصاف ومادّته زخرفة القول وغايته طلب الائتلاف ومن ألطف ما وقع فيه كلام الواوي الدمشقي .

بالله ربكما عوجا على سكني وعاتباه لعل العتب يعطفه
وحدّثاه وقولا في حديثكما ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فان تبسم قولا في ملاطفة ما ضر لو بوصال منك تسعفه
وان بدا لكما في وجهه غضب فغالطاه وقولا ليس نعرفه

وقال آخر

الا يا نسيم الريح بلغ رسالتي سليمى وعرض بي كأنك مازح
فان اعرضت عني فموّه مغالطاً بغيري وقل ناحت بذاك النوائح

وقال القاضي مجد الدين :

شكراً لنسمة أرضكم كم بلغت عني تحيـة
كم قد أطالت بل أطابت في رسائلها الذكيـة
لاغرو أن حفظت احاديث الهوى فهي الذكيـة

وهو مأخوذ من كلام الصلاح الصفدي

يا طيب نشرهب لي من أرضكم فـاثار كامن لوعـتي وتهتكي
أهدي تحيتكم وأشبه لطفكم وروى شذاكم ان ذا ريح ذكي

ويجب أختيار الرسول وان يكون ذا عفة وصيانـة ومروأة وديانة لئلا ينقلب عند مشاهدة المحبوب عاشقاً ويخلص من سلطان المحبة والمطلوب أن يكون بالحجة ناطقاً وللعشاق في هذا المساق كلام لا تحصره الأوراق قال ابن سنا الملك .

راح رسولاً فجـاءني عاشقاً وعاقه عن رسالتي عـائق
وعادلاً بالجواب بـل يجوى أخرسه والهوى به ناطق

وقال أيضاً

راح الرسول إليه وهو مفند رجع الرسول اليّ وهو متيم

وما ألطف قول الارجاني في هذا المعنى .

قسماً لقد رجع النسيم عليلا لما سرى مني إليـك رسولا
ودرى بحبك انه قد خانني فغدا يجر من الحياء ذيولا

ومن ألطف ما وقع في الرسائل من النكت العجيبة والطرف الغريبة الناشئة عن فرط الذكاء الذي يغلب نوره على ابن ذكاء ان ابن السلطان صلاح الدين افتتن بقينة حتى تملك حبها قلبه فعلم أبوه أمره فمنعه عنها فازداد غمه فأرسلت إليه كرة عنبر فلما كسرها وجد فيها زراً من ذهب فلم يدر ما أرادت بذلك فأطلع على سره القاضي الفاضل فقال

أهدت لك العنبر في وسطه زر من التبر قليل اللحام
فالزر والعنبر معناهما زر هكذا مختفياً في الظلام

ومثله أن رجلاً دعا محبوبته الى النزهة فأرسل إليها بمروحة وباقة نرجس وسكر نبات وشرابة وعود فأرسلت إليه بخيط أحمر وصبارة وثلاث كمونات سود وغاسول وزر وفي ذلك من لطيف الاشارة ما يدق عن الافهام فأنه أراد بالمروحة نروح وبالنرجس الى الزهر وبالسكرالنبات نبيت ليله وبالشراب نشرب وبالعود الغناء وأرادت بالخيط الاحمر انها حائض وبالصبارة أن تصبر وبالثلاث كمونات ثلاث ليال وبالغاسول الاغتسال وبالزر الزيارة بعد ذلك وقلت ولم اسبق الى هذا المعنى فيما أظنّ

رسولي تلطف واجر ذكري لها فان رأيت الرضا في وجهها فأبسط الشكوى
وان اعرضت فاطو الذي قد نشرته ودعني بنيران الهوى في الهوى أكوى
فقد صرت أرضى كل ما ترضى بـه واستعذب التعذيب في السر والنجوى
فعاد رسولي بعد عقل وحكمة بأضعاف ما عندي من العشق والبلوى
* ولم أرض ارسال النسيم لأنـه يرى البث في التدبير من سائر الادوا
فخفت عليه عشقها أن يعله فأحمل وزر ألست في حمله أقوى

ويمكن تنزيل كلام عارف الوقت في هذا المنوال وسبكه في قالب هذا المثال حيث يقول

وتلطف واجر ذكرى عندهم علهم ان ينظروا عطفاً اليّ

فان في قوله تلطف غاية الخضوع المستجلب لرضا المحبوب بعد نفور القلوب وما أحسن قوله وأجرى ذكرى فانه ألطف من واذكرني لهم لأنه طلب مطلق اجراء الذكر وهو يحتمل معاني كثيرة وكذا قوله عندهم أي ولو على سبيل الهذيان أو محادثة غيرهم فاني لست أهلاً لمقابلتهم بذكر ولهذا لم يقل واجر ذكرى لهم الى غير ذلك مما لو أخذنا في بيان دقائقه لم تسعه دفاتر ولم تقم بحمله خواطر وما من مشرب للعشاق باطن أو ظاهر إلا ويوجد في مطاوي كلامه ولكن بلسان أهله .

فصل في ذكر الاحتيال
على طيف الخيـــال

وهو أمر مهم عند أهل الغرام يتوصل إليه بالمنام وإنما تدعو الحاجه إليه عند طول الهجر وشدّة الدجر ومقاساة نار الملل والسهر ولم أر فيه ألطف من كلام استاذ الوجود وقطب مراتب أهل الشهود سيدي عمر بن الفارض نفعنا الله بمدده بل أظنه السابق الى هذا المنوال والفاتح فيه باب الاحتيال حيث قال:

نصبت على عيني لتحصيل غمضها　　لزورة زور الطيف حيلة محتال
فما اسعفت بالغمض لكن تعسفت　　عليّ بدمع دائم الصب هطال

ففي البيتين مع ما طلبه من التحسين البديعي ما لا يخفي .

(وقال ابن النقيب في المعنى)

نصبت جفوني للخيال حبائلاً　　لعل خيالا في الكرى منه يسنح
وكيف إذا أغمضتهن أصيـــده　　ومن عادة الاشراك للصيد تفتح

(وتلطف ابن نباتة في أخذه فقال)

واقسم لو جاد الخيال بزورة　　لصادف باب الجفن بالفتح مقفلا

(وتلطف ابن السروجيّ بقوله)

انعم بوصلك فهـــذا وقته　　يكفي من الهجران ما قد ذقته
انفقت عمري في هواك وليتني　　أعطي وصالاً بالذي انفقته
يا من شغلت بحبه عن غيره　　وسلوت كل الناس حين عشقته
أنت الذي جمع المحاسن وجهه　　لكن كنز تصبري فرقتـــه
قال العواذل يدّعي بك نسبة　　فسررت لما قلت قد صدقته
بالله ان سألوك عني قل لهم　　عبدي ومملوكي وما اعتقته

أو قيل مشتاق إليك فقل لهم أدري بذا وأنا الذي شوّقته
ياحسن طيف من خيالك زارني من فرحتي بلقاك ما حققته
فمضى وفي قلبي عليه حسرة لو كان يمكنني الرقاد لحقته

(وابن السروجي) هذا ذكره مما في منازل الاحباب في عشاق الغلمان وفي ثمرات الأوراق سماه تقيّ الدين ونقل عنه بعض هذا الشعر ولم يسم معشوقه والشاهدمن شعره هنا البيتان الأخيران وإنما ذكرناه كله لحسنه ومن المكثرين من ذكر الخيال حتى ضربت به الأمثال البحتري ومن قوله فيه

ولم أنس اسعاف الكري بدنوّها وزورتها بعد الهدوّ ولم تدري
إذا الليل أعطانا من الوصل بلغة ثنتنا تباشير الصباح من الفجر

(وقوله)

وليلة هوّ منا على العيش أقبلت بطيف خيال يشبه الحق باطله
فلولا بياض الصبح طال تشبثي بعطفي غزال بت وهنا أعازله
فكم من يد لليل عندي حميدة وللصبح من خطب تذم هوائله

(وقال عبد الصمد)

واصل النوم بيننا بعد هجر فاجتمعنا ونحن مفترقان
غير ان الأرواح خافت رقيباً فطوت سرها عن الابدان
منظر كان لذة القلب إلا انه منظر بغير عيـــان

(وقال ابن القطان)

زار الخيال نحيــلاً مثل مرسله فما شفاني منه الضم والقبل
ما زارني قط إلا كي يوافقني على الرقاد فينفيه ويرتحل

وقد أنشدهما يوماً عند الوزير الزيني وادّعى أنه لا يمكن تثليثهما فأنشـد الحيص بيص بديهة

وما درى أن نومي حيلة نصبت لطرفـه حين أعيا اليقظـة الحيل

(وقال ابن العفيف)

يا حبذا طيفك من قادم يا أحسن العالم في العالم
طيف تجلى نوره ساطعاً حتى رأته مقـــلة النائم
يا غائباً يحكم في مهجتي عليّ طابت غيبة الحاكم
عارعلى حسنك ان يشتكي خطي منه انـــه ظالمي

(وأحسن كشاجم حيث قـــال)

لقد بخلت حتى بطيف خيالها عليّ وقالت رحمة لنحيبي
أخاف على طيفي إذا جاءطارقاً وسادك أن يلقاه طيف رقيب

(وقال آخر)

وزارني طيف من أهوى على حذر من الوشاة وداعى الصبح قد هتفا
فكدت أوقظ من حولي به فرحاً وكاد يهتك ستر الحب بي شغفــا
ثم انتبهت وآمــالي تجنبــني نيل المنى فاستحالت غبطتي أسفا

(وقال ابن المعتز)

ابصرته في المنام معتذراً إليّ مما جناه يقظانا
ولان حتى إذا هممت به أنبهت عند الصباح لا كانا

(وقلت)

مليكة الحسن ماشيء يقال له نوم فان جفوني ليس تعرفه
هل تسمحين بشيء منه يطرقني فيه خيالك ان القلب يألفه
يحيا به ميت عشق لاحراك به لطول هجرك كادالشوق يتلفه

ثم تشعبت آراءهم في التفنن في الخيــال (فمنهم) من ردّه مللاً وضجراً ويشبه هذا ما سبق من حمله الضجر على ترك من هجر (فمنهم) طرفة ويقال أنه أوّل من ذكر الخيال وفي ديوان الصبابة أن أول من ذكره عمـر بن قمئة وان طرفه أوّل من طرده فقال

فقل لخيال الحنظلية ينقلب إليها فإني واصل حبل من وصل

(وتلاه جرير فقال)

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعي بسلام

وسيأتي لهذا البيت حكاية في الخاتمة تذكر هناك من ردّ عليه (ومنهم) من اعتذر عن عدم بعث الخيال بقوله

سامحت كتبك في القطيعة عالماً أن الصحيفة أعوذت من حامل
وعذرت طيفك في الجفاء لأنه يسرى فيصبح دوننا بمراحل

(ومنهم) من ذمّ النوم في قالب الاعتذار عن طيف الخيال كأنه يقول ان المنغصات في الدنيا لا تنفك عن الانسان حتى في النوم ألا ترى أن من يحلم بمحبوبه أو شيء من مطلوبه ينتبه فلا يرى إلا الأسف والقلق وزيادة الحرق وإن حلم أنه أحدث أو ضرب رأى ذلك في الصباح ولما كان خيال المحبوب من التلذذات لم يأت النوم به جرياً على عوائد الزمان في الاتيان بغير الملائم للانسان وما أحسن قول المتنبي في هذا المعنى :

وأحسب أني إذ هويت فراقكم أفارقكم والدهر أخبث صاحب
فيا ليت بيني وبين أحبتي من البعد ما بيني وبين المصائب

ومن ذمّ المنام والرؤية فيه قول بعضهم

أرى في منامي كل شيء يسوءني ورؤياي بعد الصبح أدهى وأقبح
فإن كان خيراً فهو أضغاث حالم وإن كان شراً جاءني قبل أن أصبح

(وقال المعري)

إلى الله أشكو أنني كل ليلة إذا نمت لم أعدم خواطر أوهام
فإن كان شراً فهو لا شك واقع وإن كان خيراً فهو أضغاث أحلام

(وقال الأحنف العكبري)

وأحلم في المنام بكل خير فأصبح لا أراه ولا يراني

ولو أبصرت شراً في منامي لوافى الشر من قبل الأذان

(وقلت)

لك الحمد اني لم أبت ليلة من الدهر خلواً من أليم الغوائب
وفي النوم أن أحلم بشيء يسوءني من الصبح يأتيني بسوء العواقب
وإن كان خيراً لا أرى منه ذرّة لسوء مزاج أو قران كوكب

(ومنهم) من تطرّف فوصف النوم وإبليس بالقيادة قال ابن المعتز

ألم الخيال بلا حمده وأبدلني الوصل من صدّه
وكم نومة لي قوّادة أتت بالحبيب على بعده

(وقال آخر)

تركت هجا إبليس ثم مدحته وذاك لأمر عز عندي سلوكه
يقرّب من أهواه حيناً فإن أبى حكاه خيالاً في الكرى فأنيكه

ومما يصلح إيراده هنا للمناسبة أن بعض المغفلين أحب امرأة وأجهد نفسه حتى اجتمع بها فنام فقالت له لِمَ لم تفعل ذلك قال : من شوقي اليك لعلي أراك في النوم فقالت أنا عندك بنفسي فقم فانظرني .

فصل في أحكام الليل والنهار وذم قصرهما عند الوصل وطولهما عند الهجر والنفار وتمني طول زمن الوصل والرضا

وقصر الهجر وقطعه أسرع من القضا وما تشعب في ذلك بين العشاق وذهبوا كل مذهب على اختلاف الأذواق

فمما قال متحمسهم بعد الجهد والغلبة ومرارة الصبر بعد فراق الأحبة

يا ليل طل أو لا تطلّ لا بد لي أن أسهرك
لو بات عندي قمري ما بتّ أرعى قمرك

وما ألطف قول بعضهم في طول الليل وهجر المحب

رقدت ولم ترث للساهر وليل المحب بلا آخر

(وقال آخر)

مات الظلام بليـــل أحييته حين عسعس
لو كان لليل صبح يعيش كان تنفس

(وقال ابن منقذ)

لما رأيت النجم ســـاه طرفه والقطب قد ألقى عليه ثبـــاتا
وبنات نعش في الحداد سوافره ايقنت أن صباحهم قد ماتـــا

(وقال بعضهم)

وصل الحبيب جنان الخلد اسكنها وهجره النار يصلينا بها النارا

فالشمس بالقوس أمست وهي نازلة   إن لم يزرني وبالجوزاء ان زارا

(حكي) ان محدثاً سئل عن معنى هذين البيتين فقال هذا راجع الى النجوم وقام مستحياً وآلى على نفسه أن لايجلس في حلقة حتى ينظر في النجوم (وقال بعضهم) في قصر ليل الوصال

يا ليلة كاد من تقاصرها   يعثر فيها العشاء بالسحر

وقال بعضهم وقد جمع وصف الزمانين

عهدي بنا ورداء الليل مشتمل   والليل أطوله كاللمح بالبصر
والآن ليلي مذ بانوا فديتهم   ليل الضرير فصبحي غير منتظر

وقال الشريف ابن الهبارية

لقد ساهرتني عيون الدجى   وقد نام عني عيون الملاح
إذا اشتكى الليل هجر الصباح   شكوت إلى الله هجر الصباح

(وقال الفاضل في زمن الوصل)

بتنا على حال يسر الهوى   وربما لا يمكن الشرح
بوّابنا الليل وقلنا له   إن غبت عنا هجم الصبح

وقال الأرجاني معتذراً عن طول ليل الهجر

لا أدعي جور الزمان ولا أرى   ليلي يزيد على الليالي طولا
لكن مرآة الصباح تنفسي   للهم اصدأ وجهها المصقولا

(وقال امرؤ القيس)

وليل كموج البحر أرخى سدوله   علي بأنواع الهموم ليبتلى

(وقال المتنبي)

كم زورة لك في الاعراب خافية   أزهى وقد رقدوا من زورة الذيب
أزورهم وسواد الليل يشفع لي   وأنثني وبياض الصبح يغري بي

في هذا البيت من الأنواع حسن المقابلة وفيه مقابلة خمسة بخمسة ولكن نقد عليه في مقابلة الصبح بالليل لأن الجزء لا يقابل بالكل فلو قال النهار كان أولى وللمتنبي دقائق لطيفة ألا ترى إلى قوله

وكم لظلام الليل عندي من يد　　تخبر أن المانوية تكذب

فإنّ المانوية فرقة تقول أن الآلهة اثنان إله الظلمة وإله النور والأول لا يفعل إلا الشرّ والثاني لا يفعل إلا الخير فنقول أن زيارة المحب أعظم خير فعلته الظلمة وقد كذبوا في قولهم

(وقال ابن رشيق) :

ايها الليل طـــل بغير جنــاح　　ليس للعين راحـــة في الطباح
كيف لا ابغض الصباح وفيـــه　　بان عني نور الوجوه المـــلاح

وإنما أكثر وامن ذكر الليل دون غيره لأنه محل سكون الحواس وهدوّ الانفاس وخلو النفس بعد انطباق مسالك التشعبات عنها فتستجلب الافكار الخفيات فيما مضى وما هو آت واما النهار فالافكار فيه منتشرة والشواغـل مستكثرة فهو محل الاستغراق وقلة الاعتلاق ومحل التسنية عن الاشواق اللهم الا شخصاً قد ملك الحب قياده فلا يلهيه شيء ولا ينسيه مراده (وقلت جامعاً لغالب هذه المعاني)

يذكرك يا من هواها ضنى حالي　　شغلت فما منه أرى أبداً خــالي
فنيت عن الاغيار فيك صبابــة　　فغيرك لم يخطر مدى الدهر في بالي
ولو زارني طيف الخيال لقــال لي　　الا أنعم صباحاً أيها الطلل البالي
سوى قصر أعوام الوصال وصداها　　دقيقة هجران تقطع أوصـــالي
فيا من لها بالحسن يوسف قد حبا　　ووالده بالحزن في الدهر أوصى لي
متى تنعمي والشمس بالقوس ليلة　　وفي ضدّه يوماً على رغم عذالي

(وقلت أيضاً مخترعاً فيما أظن)

ألوم جميـــع العاشقـين لذمهم ضيا الصبح فيتفريق شمل الحبائب
وما الصبح بل ما الشمس لولا جبينها يفيض الضيا في شرقها والمغارب
وهلا سألتم شعرهـا ستر وجهها إذا شئتم طول احتباك الغياهب

ﻩ
ﻩ ﻩ

فصل

فيما ذكر وأشتهر على ألسنتهم من لوم العذول وسوء عقله الذي أوقعـه في الفضول وكيف أدخل نفسه بين الاحباب حتى انتقمت منه أهـل الآداب فوجهوا اليه سنان اللسان والاقلام فامتحن طعناً بكل نقي ونظام فقد قيل ليس من العدل كثرة العذل ومن تكلم بما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه ومن لم يمسك عما استغني عنه من الكلام فهو أحق بالملام وليس هـذا الباب ألطف من كلام سيدي عمر بن الفارض نفعنا الله ببركاته حيث قال :

دع عنكَ تعنيفي وذُق طعم الهوى　　فإذا عشقت فبعد ذلك عنف

(وقال بعضهم)

يا عـاذلي في هواه　　إذا بـدا كيف أسلو
يمر بي كل وقت　　وكلمـا مر يحلو

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

يا من إذا باعت الأبصارا أسودها　　بجبت فوق خديـه فقد ربحت
يزيد في العـذل تبريحاً اسر به　　فليت عذال حبي فيك ما برحت

وقال ابن العفيف التلمساني :

اسرفت في اللـوم ولم تقتصر　　وزدت في عذلـك ياذا العـذول
قد رضيت نفسي بمحبوبهـا　　وإنمـا المـولى كثير الفضول

(وقال والده)

ولى على عاذلي حقوق هوى　　شكرى عليها من بعض ما يجب

* لام فلما رآه هام بـــه فكنت في عشقه انا السبب

(وقال بعضهم)

قد اقتصر اللاحي وجاء يلومني وزخرف لي زور الكـلام بمينه
وقال أسل عن هذا وعد عن غرامه فقلت له هـــذا الفضول بعينه

وانشد ابن وكيع وقد عشق غلاماً نصرانياً ولامه عليه صاحبه فمر بهما المعشوق ولم يدر العاذل أنه هو فقال له لو عشقت هذا ما لمثلك عليه فانشد.

أبصره عـازلي عليـــه ولم يكن قلبهـــا رآه
فقال لي لو عشقت هذا ما لامك الناس في هواه
قل لي الى من عدلت عنه فليس أهل الهوى سواه
فظل من حيث ليس يدري يأمر بالحب من نهـــاه

وقال شيخ الشيوخ بحماة

زعموا أنني هويت سواكم كذبوا ماعرفت إلاهواكم
قدعلمتم بصدق مرسل دمعي فسلوه إن كان قلبي سلاكم
قال لي عدلي متى تبصر الرشد وتسلو فقلت يوم عماكم

(وقال بعضهم)

ان قوماً يلحون في حب سعدى لا يكادون يفقهون حديثـــا
سمعـــوا وصفها فـلاموا عليها أخذوا طيباً وأعطوا خبيثـــا

(وقال آخر)

من منصفي من عاذل جاهـــل يخون باللوم لمن لا يخون
ان قلت ما نصحـــك إلا أذى قال ومـــا عشقك إلا جنون

وقال محمد بن شرف الدين القيرواني

يقول لي العاذل في لومـــه وقوله زور وبهتـــان
ما وجـــه من أحببته قبلة قلت ولا قولـــك قرآن

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

أيها العاذل الغبي تأمل من غدا في صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرّة وجبين ان في الليل والنهار عجائب

(وقال ابن عبد الظاهر)

كم على عاذلي وكم لحبيبي ذاك تكبيرة وذا تهليلة
يا ثقاتي واين مني ثقاتي اين من يبتغي اليّ الوسيلة
انا ان مت قبلوني إليه فحياتى وحقه تقبيله

(وقال قابوس)

من عاذري في عاذل يلوم في حب رشا
إذا طلبت وصله قال كفى بالدمع شاهدا

(وقال الوداعي)

يا لائمي في هواه افرطت في اللوم جهلا
ما يعلم الشوق إلا ولا الصبابة إلا

(وقال البها زهير)

وظبي حكى ريم الفلا في نفاره فما باله لم يحكه في التلفت
يدافعني عن وصله بتهجم فياليته لو كان يدفع بالتي

(وقال شيخ الشيوخ بحماة)

ابغض العشاق منه انني لم أبح في حبه رشدي بغيّ
قلت قد أضنيت جسمي قال قد قلت كي تذهب روحي قال كي

(وقال أيضاً)

إليكم هجرتي وقصدي وفيكم الموت والحياة
أمنت أن توحشوا فؤادي فآنسوا مقلتي ولاتو (حشوا)

(وقال ابن مطروح)

والله مـا خطر السلو بخـاطري   ما دمت في قيد الحياة ولا إذا

(وقال آخر)

لو رأى وجه جبيني عاذلي   لتفارقنا على وجـه جميـل

(وقال آخر)

قل للعذول أطلت اللوم في قمر   يزيـد في كل يوم حسنه نورا
ان كنت تزعم ما في حسنه عجب   قم فانظر الورد في خديه منشورا

(وقال محيي الدين البغدادي)

ان لامني من لا رآه فقـد   جـار على الغائب بالحـكم
وان نهاني من رآه فقـد   اضله الله على عـلم

(وقال البها زهير)

أنت الحبيب الأوّل   ولك الهنا المستقبل
عندي لك الودّ الذي   هو ماعهدت واكمل
القلب فيك مقيـد   والدمع فيك مسلسل
يا من يهدد بالصّدود   نعم تقول وتفعـل
قد صح عذرك في الهوى   لكنني اتعلـل
قل للعذول لقد اطلت   لمن تقول وتعـذل
عاتبت من لا يرعوى   وعذلت من لا يقبل
غضب العذول اخف من   غضب الحبيب واسهل

(وقال ابن أبي حجلة)

وعاذل بالـــغ في عذله   وقال لـمـا هاج بلبـالي
بعارض المحبوب مـا تنتهي   قلت ولا بالشبب والوالي

(وقال آخر)

وشادن مبتسم عن شنب   مورّد الخدّ مليح الشنب

يلومني العاذل في حبي له   وما درى شعبان أني رجب

المراد بشعبان العـاذل ورجب الأصم وهي اسمـاء كانت مشهورة في الجاهليـة

(وقال السراج الوراق)

قلت إذ جرد لحظـا حـده يدنى الأجـل
يا عذولي كف عني سبق السيف العـذل

هذا مثل سائر أصله ان سعـدا وسعيداً ابني ضبة خرجا لحاجة فرجع سعدون أخيه فكانت العرب اذا عاد الرجل منهم من سفر يقولون له سعدام سعيد فيقول سعد ان رجع بفرصة وان عاد بدون فرصة يقول سعيد وان أباهما خرج مع رجل حتى بلغا موضعاً فقال له الرجل قد قتلت هنا رجـلاً وأخذت منه هذا السيف وناوله ضبة فعرفه فجرّده وضرب الرجل فعـذل فقال ضبة سبق السيف العذل

(وقال شيخ الشيوخ بحماة)

اعاذلي ليس مثلي من تفنـده   وليس منك مأموناً على عذل
ما دمت خلوا فما تنفك متهماً   أعشق فقولك مقبول عليّ ولي

(وقلت)

لقد ضلت العشاق عن سنن الهوى   للومهم العـذال وهـو عجيب
أما عذر المجنون مع ذى جهالة   لدى الشرع حتى يرعوى ويتوب
وما عاقل ذاق الهوى فيذمه   ويعذل صبا ان جفـاء حبيب

فصل في أحكام الزيارة وما جاء في فضلها
من البراعة والعبـارة وتفنن العشاق في فضل زيارة الحبيب
وايثار أنفاسه على نفائس الطيب

قيل كان الشافعي رضي الله عنه يكثر من زيارة احمد وكان أحمد يقل من زيارته هيبة له فقيل للشافعي انك لتزوره أكثر وهو المحتاج اليـك فانشد :

قالوا يزورك احمد وتزوره   قلت الفضائل لا تفارق منزله
ان زارني فبفضله أوزرته   فلفضله فالفضل في الحالين له

وقد أبدع لسان الحقيقة وواسطة عقد الطريقة سيـدي عمر بن الفارض أفاض الله علينا من مدده في هذا الباب حيث يقول

ولما توافينا عشاء وضمنا   سواء سبيلي دارها وخيامي
فرشت لها خدي وطاء على الثرى   فقالت لك البشرى بلثم لثامي

جعل الزيارة تفضلاً منها ثم أشار الى أخذه في إسباب السعي إليهـا بل شروعه في ذلك رفعاً لجانبها عن التكليف الكلي كأنه يقول·أنه ليس أهلا لها ثم فرش خده في مقابلة السعي ولم يقل لها فقط بل أطلق في جعله على الثرى المحتمل أنها وطئته وانها لم تطأه وفي ذلك غاية رفع شأنها لمن يتأمل فلذلك عقبه ايضاً بغاية رفع شأنه منها بأكثر مما كان يؤمله ولذلك لم تسمح نفسه بما سمحت له به غيرة كما صرح به هضماً لجانبه عن هذا المقام كما أشار إليه ولما أعطى المقام حقه ونقلته العنايات الى محل الكرامات والحظوة بنيل المرادات أشار إلى ذلك بقوله بعد البيت الذي تضمن ما ذكرنا

عتبت ولم تعتب كأن لم يكن قلى وما كان إلا أن أشرت وأومت

فانظر إلى هذا الانتقال وصريح هذا المقال بعد ما قال

ومنت وما ضنت عليّ بوقفة تعادل عندي بالمعرّف وقفتي

حيث عد زيارتها منة عليه لئلا يتوهم مما يأتي هضم جانبها ثم نفى عنها البخل ثم عتب بعد ذلك فأين هذا مما سبق فسبحان واهب الفضل لمن أحسن في خدمته وقام بحقوق محبته ومن ألطف ما قيـــل في الزيارة والعجلة قول العكـّوك .

بأبي من زارني مكتتما خائفاً من كل شيء فزعا
زائر نمّ عليه عرفه كيف يخفى الليل بدر أطلعا
رصد الغفلة حتى أمكنت ورعى الساهر حتى هجعا
ركب الأخطار في زورته ثم ما سلم حتى ودّعا

(وقال ابن المعتز)

زارني والدجــى أحم الحواشي والثريـــا في الغرب كالعنقود
وكأن الهلال طوق عروس بات يجلى عن غلائل سود
ليلة الوصل ساعدينـــا بطول طوّل الله فيك غيظ الحسود

(وقال آخر)

زارت على غفلة الرقيب كظبية روّعت بطيب
وكان وقت الوصال منها أقصر من جلسة الخطيب

وقال عبد العزيز ويقال أنه أصدق ما قالت الأواخر

يقولون لي بالله ما أنت فاعل إذا زارك المحبوب قلت أنيكه

(وقال ابن النبيه)

قلت لليل إذ حباني حبيبي بعتاب يسبي النهي وعقارا

أنت يا ليل حاجبي فامنع الصبح وكن أنت يا دجى بردادارا

(وقال ان العفيف)

ومليح كالبدر زار بليل فجلى حسنه الدجى إذ تجلى
ما درى منزلي ولكن قلبي بلهيب الجرى هـــواء ودلا
وعجيب منـــه فقيه ذكي بمحل النزاع كيف استدلا

(وقال بشار)

يا أطيب الناس ريقاً غير مختبر الا شهادة أطراف المساويـــك
قد زرتنا زورة في الدهر واحدة عودي ولا تجعليها بيضة الديك

إنما قال ذلك لأنه قد اشتهر ان الديك يبيض في عمره مرة ولم يـــذكر الطبيعيون ذلك وأقول ان القياس لا يأباه لما تقرر في الطبيعــة من أن البيض الريحي فضلات غليضة هيأتها الحرارة والذكور يتوفر فيها ذلك على نحو المني الفاضل ولولا الحرارة الحلالة لكثر ذلك فيهم والممنوع بيض يولد النوع لعدم الزرع النامي ومن له يد في الفلسفة سهل عليه علم هذا وقال ابن أبي حجلة

زار الحبيب ووجه الورد خجلان فأصفرّ حين تثنى قـــدّه البان
قد كان ما كان من هجرانه زمناً وقد وفى الآن فالعذال لا كانوا
ما ضرني ضيق عيشى حين واصلني سم الخياط مع الاحباب ميدان

(وقال لابن سكرة)

أهلاً وسهلاً بمن زارت بلا عــدة تحت الظلام ولم تحذر من الحرس
تسترت بالدجى عمداً فما استترت وناب اشراقها ليلاً عن القبس
ولو طواها الدجى عنا لأظهرها برق الثنايا وضوء البرق في الغلس

ومما تدرجوا إليه من ذكر زيارة الحبيب وصف ممره بالطيب قـــال ابن النبيه

ان جاء من يبغي لهم منزلاً فقل له يمشي ويستنشق

(وقال الطغرائي)

فسربنا في ظلام الليل معتسفاً فنفحة الطيب تهدينا الى الحلل

(وقال آخر)

لو كان يوجد ريح مسك فائحاً لوجدته منهم على أميال

(وقال المتنبي)

ويفوح من طيب الثناء روائح لهم بكل مكانة تستنشق

ومما ينخرط في سلك الزيارة وينتظم في عقد الاشارة ذكر العيادة وما ينجز الى المحب فيها من الافادة وهي في الحقيقة زيارة بحيلة تستعطف بها النفوس البخيلة قال الطغرائي

خبروها اني مرضت فقالت أضنى طارقاً شكا أم تليدا
وأشاروا بأن تعود وسادي فأبت وهي تشتهي أن تعودا
وأتتني في خفية وهي تشكو ألم الشوق والمزار البعيدا
ورأتني كذا فلم تتمالك ان أمالت عليّ عطفاً وجيدا

(وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة)

وملولة في الحب لما أن رأت أثر السقام بعظمي المنهاض
قالت تعيرنا فقلت لها نعم أنا بالسقام وأنت بالأعراض

(وقال آخر)

لا تهجروا من لا تعوّد هجركم وهو الذي بلبان وصلكم غذي
ورفعتموا مقداره بالابتداء حاشاكم أن تقطعوا صله الذي

وعلى ذكر الذي والصلة قيل كتب ابن عنين وقد مرض الى الملك المعظم :

أنظر إلي بعين مولى لم يزل يولي الندى وتلاف قبل تلافي

أنا كالذي احتاج ما يحتاجه فاغنم ثوابي والثناء الوافي

فحضر اليه وصحبته ثلثمائة دينار فقال أنت الذي وهذه الصلة وأنا العائد

(وما ألطف قول البهاء زهير في المعنى)

يقولون لي أنت الذي شاع ذكره فمن صادر يثني عليه ووارد
فقلت له هبني الذي ذكرته فأين صلاني منكم وعوائدي

(وقال ابن عباد)

فأشفقت الزيارة عامداً وما عن قلى أمسكتها لا ولا هجر
ولكن اشفقت من أن أزوركم فأبصر آثار الكسوف على البدر

(الشهاب محمود)

رأتني وقال نال مني النحول وفاضت دموعي على الخد فيضا
فقالت بعيني هذا السقام فقلت صدقت وبالخصر ايضا

(وقال الأرجاني)

غالطتني إذا كسا جسمي الضنى كسوة أعرت من اللحم العظاما
ثم قالت أنت عندي في الهوى مثل عيني صدقت لكن سقاما

(ابن أبي حجلة)

شكوت الى الحبيبة سوء حظي وما قاسيت من ألم البعاد
فقالت أنت حظك مثل عيني فقلت نعم ولكن في السواد

(ابن النقيب)

وما بي سوى عين نظرت لحسنها وذاك لجهلي بالعيون وغرتي
وقالوا به في الحب عين ونظرة فقلت نعم عين الحبيب ونظرتي

(والكل مأخوذ من قوله)

وجاؤا إليه بالتعاويذ والرقي | وصبوا عليه الماء من ألم النكس
وقالوا به من أعين الجنّ نظرة | ولو عقلوا قالوا به نظرة الأنس

(شمس الدين بن العفيف)

اسم حبيبي وما يعاني | قد حير خاطري ولبي
قالوا عليٌّ فقلت قدراً | قالو كوافي فقلت قلبي

(ابن الوكيل)

وبي من قسا قلباً ولان معاطفا | اذا قلت أدناني يضاعف تبعيدي
أقرّ برق إذ أقول أنا له | وكم قالها أيضاً ولكن لتهديدي

(ومما أورده صاحب الدمية له)

عذيري من شاطر أغضبوه | فجرّد لي مرهفاً فاتكا
وقال أنا لك يا ابن الوكيل | وهل لي رجاء سوى ذلكا

وتشبيهاته في نوع الزيارة كثيرة ذكرنا منها ما سمعت إذ لا يمكن استيعاب ذلك

(وقلت في أصل الزيارة)

زارت وقد أخفى نهار جبينها | ليل الشعور مخافة الرقباء
فوثبت إجلالاً أقبل نعلها | بل تر به للبرء من أدوائي
قالت لك البشرى فطب نفساً بما | أوليت من نعم وحسن وفاء
بتنا وكل جوارحي تشكو لها | شوقي وما صنع الهوى بحشائي
فسكرت من ألفاظها ورضابها | مع لينها ومحاسن الحسناء
ونسيم أنفاس لقلبي أرسلت | سحراً فأحيا ميت الأحياء
لله من وطر قضيت مؤازراً | معها بثوبي عفة وحياء
يا ليلة غلط الزمان بها ولو | عوّضتها بالعمر كان منائي

(وقلت أيضاً)

أفدي التي زارت بلا موعد في غفلة الواشين والجاني
والوجه منها روضة أينعت ما لمستها راحة الجاني
قمت لأجني الورد من خدها وهي بسيف اللحظ ترعاني
فقلت ما هذا وقد راعني قالت حديد يمنع الجاني

وأما كلام سيدي عمر بن الفارض في وصف طيب الحبيب فغاية لا يدركها اللبيب وذلك قوله

ولو عبقت في الشرق أنفاس طيبها وفي الغرب مزكوم لعادله الشم

فإنه مع ذكر البعد فيما بين الجهتين مرصع بلطائف لا يهتدى إليها إلا من خص بالعناية ألا ترى الى وصفه الشام بالزكام المانع من الشم عادة وجعله في الغرب الذي يكثر الهواء منه لا إليه كما في القرينة الثانية وجعل المحبوبة في القطر الحار الذي تفنى فيه الرائحة إذا عبقت لشدة تحليل الشمس لما يحمله الهواء من تصعيد البخار ومع ذلك يشم ومنه أخذت فقلت

لو اشتاقها في الغرب فاقد شمه وكانت بأقصى الشرق شم نسيمها

(وقلت في العيادة)

أقول لها هل تسعفي بعيادة مريضاً كواه البين بالهجر والسقم
فقالت إذا ما فارق الروح زرته لأن محال جمع روحين في جسم

ومما يتخرج على الزيارة تخريج الفروع على الأصول ويهتدي الى الحاقه بها أهل العقول ما جرى على ألسنة الأحباب من أحوال العتاب وانقسام الناس فيه الى مادح له لتأكيده المحبة وذام له بين الأحبة والصحيح إنما كذب الناقل وميز الحق من الباطل وأكدّ الصحبة بعد النفور وبين للحبيب الزور فهو أحق بأن ينصر ومنه يستكثر قال في إحياء علوم الدين ما معناه ان العتاب شأن أولى الألباب وقاطع لقطيعة الإخلاء والأصحاب وكان الرجل إذا وقع في نفسه من أخيه شيء لم يهجره حتى يوضح له ذلك فإن انتهى والا هجره وأما عتاب يفضي الى المقاطعة ويحدث الهجر والممانعة فتقريع يجب اجتنابه

عقلاً ونقلاً وتركه فصلاً ووصلاً وفيه قيل من سوء الآداب كثرة العتاب ومن أمثالهم في الأول العتاب مفتاح الوصال قاطع للهجر والملال والى سلوك الطريقة الحسنة فيه أشار من أمر بقتله وهو سعيد الكاتب بقوله

أقلل عتابك فالبقاء قليل والدهر يعدل تارة ويميل
ولعل أيام الحياة قصيرة فعلام تكثر عتبنا وتطيل

(وقال آخر)

وبعض العتاب إذا ما رفقت يباعد هجر أو يدني وصالا
فعاتب أخـــاك ولا تجفه فان لكل مقام مقالا

(والى مكثر التقاطع أشار بالترك من قال)

لا تقر عن سماع من تهوى بتعداد الذنوب
ما ناقش الأحباب إلا من يعيش بلا حبيب

(وإلى تأييد الأول أشار من قال)

فلا عيش كوصل بعد هجر ولا شيء ألذ من العتاب
فلا هذا يمل حديث هذا ولا هذا يمل من الجواب

(وقال آخر)

وأحسن أيام الهوى يومك الذي تروّع بالهجران فيه وبالعتب
إذا لم يكن في الحب سخط ولا رضا فأين حلاوات الرسائل والكتب

(ابن سنا الملك)

وأملي عتابا يستطاب فليتني أطات ذنوبي كي يطول عتابه
ومن غرتي ذكر العذيب وبارق وما هو إلا ثغره ورضـــا به

(أبو نواس)

أساء فزادته الإســـاءة خطوة حبيب على ما كان منه حبيب

تعد عليّ الواشيات ذنوبــه ومن أين للوجه المليح ذنوب

(الحكم بن قنبر)

كأنما الشمس في أعطافه طبعت حسنا أو البدر من أزراره طلعا
مستقبل بالذي يهوي وان عظمت منه الإساءة معــذور بما صنعا
في وجهه شافع يمحو إساءتــه من القلوب وجيه حيثما شفعــا

(أبو فراس)

قل لإحبابنا الجنــاة علينا درجونا على احــتمال الملال
أحسنوا في عتابكم إو أسيئوا لاعدمناكم على كل حال

(وقال آخر)

إذا مرضنا أتيناكم نعودكم وتذنبون فنأتيكم فنعتذر

(وقال آخر)

حججي عليك إذا خلوت كثيرة وإذا حضرت فــإنني مخصوم
لا أستطيع أقول أنت ظلمتني الله يعــلم أنني مظــلوم

(وقال آخر)

ولو كان هذا موضع العتب لاشتفى فؤادي ولكن للعتاب مواضع

(ابن المعتز)

اقبل معاذير من يأتيك معتذراً ان بر عندك فيما قال أو فجرا
فقد أطاعك من يرضيك ظاهره وقد أجلك من يعصيك مستترا

وقد قيل ان أفضل العتاب ما غرس العفو وأثمر المحبة وعتب يوجب العفو والصفاء أفضل من ترك يعقب الجفاء وجاء في تفسير قوله تعــالى فاصفح الصفح الجميل عن عليّ يعني أعف وأصفح بلا عتاب وورد عنه ﷺ من لم

يقبل من متنصل عذراً صادقاً او كاذباً لم يرد على الحوض .

(وما أحسن قول القائل)

ذنبي اليك عظيم　　　وأنت أعظم منه
فجد بحقك أولاً　　　واصفح بفضلك عنه
إن لم أكن في فعالي　　　من الكرام فكنه

(وقال آخر)

ما أحسن العفو من قادر　　　لا سيما عن غير ذي ناصر
ياغاية القصد وأقصى المنى　　　وخير مرعى مقلة الناظر
إن كان لي ذنب ولاذنب لي　　　فما له غيرك من غافر
أعوذ بالودّ الذي بيننا　　　ان يفسد الاول بالآخر

(وقال آخر)

وزعمت أني ظالم فهجرتني　　　ورميت في قلبي بسهم نافذ
ونعم ظلمتك فاغفر لي زلتي　　　هذا مقام المستجير العائذ

(ابن زيدون)

يا قمراً مطلعه المغرب　　　قد ضاق في حبك المذهب
الزمتنى الذنب الذي جئته　　　صدقت فاصفح أيها المذنب
فإن من أغرب ما مرّ بي　　　ان عذابي فيك مستعذب

(وقلت)

رأيت أساليب للعتاب كثيرة　　　وألطفها ما أكد الحب في القلب
اذا ما خلونا لم أجد ما أقوله　　　يلذ سوى الشكوى اليها مع العتب
ومن ذكر المحبوب شيأ منفرا　　　عقوبته الهجران في مذهب الحب
ومن يرَ ذنباً من حبيب فمدع　　　وما الحب إلا أن تنعم بالذنب

وهذا مستمد من قطب هذا الوجود وانسان عين أهل هذا الشهود سيدي

عمر بن الفارض حيث قال وكل الذي ترضاه البيت السابق . وقد قال بعضهم عتاب المحبين الذلة في الأعتاب وخدمة الأبواب وقال بعضهم كن إذا قابلت الحبيب مرآة ينتقش فيك ذنبه فتراه منك وتطلب صفحه عنك ولم يوضح هذا الطريق أحد أجل من لسان العارفين وترجمان المحبين سيدي عمر بن الفارض حيث يقول

ولو عزّ فيها الذل ما لذ لي الهوى ... ولم تك لولاك الذل في الحب عزّتي

* * *

فصل ومما يلحق بالعتاب
ويصلح أن يكون معه في باب

الصبر على تعنت المعشوق وتجنيه على الصب المشوّق والصفح عن التجني حين يذوق جناه ونسخ سخطه وظلمه بظلمه ورضاه وهو أهل عند العشاق يبنى عليه ويرجع في قواعد مذهب المحبين اليه كما قيل

شرط المحبة عند أرباب الهوى   إن المليح على التجني يعشق

لا يصدّهم صدّ ولا يقفون من سيوف اللحظ عند حد ولا تأخذهم فيه لومة لائم ولا يعدون جور ما يرد من الظلم من المظالم .

(ابن النبيه)

من لم يذق ظلم الحبيب كظلمة   حلواً فقد جهل المحبة وادّعى

ولقد تلطفت عليه بنت المهدي في هذ المعنى حيث تقول

جبل الحب على الجور فلو   أنصف المحبوب فيه أسمج
ليس يستحسن في شرع الهوى   عاشق يحسن تأليف الحجج

(وقال بعض الأعراب)

شكوت فقالت كل هذا تبرما   بحبي أراح الله قلبك من حبي
فلما كتمت الحب قالت تعنتا   صبرت وما هذا بفعل شجي القلب
وأدنو فتقصيني فأبعد طالبا   رضاها فتعتد التباعد من ذنبي
فشكواي يؤذيها وصبري يسوءها   وتنفر من بعدي وتجزع من قربي

فيا قوم هل من حيلة تعرفونها أشيروا بها تستوجبوا الأجر من ربي

ولما كان التجني من المحبوب وتعنته الذي يكاد أن يفوّت الغرض المطلوب يشتبه بالهجر والقطيعة ويعسر التفريق بينهما على من لم يخض لجة هذه الشريعة وجب بعد إذ أشرنا الى حقيقة الأول أن نشير الى الثاني ونذكر ما له من الأقسام والمباني سالكين في ذلك مسلك ديوان الصبابة إذ لا مزيد في هذا المحل على تقسيماته المستطابة فنقول وقد قسم الهجر عند أهل المحبة بعد الاستقصاء الى أربعة أقسام



(القسم الاول هجر الدلال)

وهو الممدوح الصفات المقصود بالذات وسببه علم المحبوب بمكانته عندالمحب وانه يتلذذ بالاساءة كما يتلذذ بالحسنة ولا تغيره الحوادث على اختلاف الأزمنة ولهذا إذا صفت مرآة أهل المحبة اتحدوا في كل رتبة فيقع لأحدهم بعد المبالغة في هذا الصفاءان يعتقد ارتفاع الخلاف واتصاف كل أحد بما عنده من الأوصاف فانظر الى قول بهاء الدين زهير في قوله

عتب الحبيب فلم أجد سبباً لذاك العتب حادث
ما كنت أعلم أنه ممن تغيره الحوادث

فهو وان لم يقع منه ما يوجب التغير كما أفهمه البيت الأول لم يعتقد تغير المحبوب بما يقع منه لأنه هو كذلك وفي هذا الأصل كلام للعارفين وكل يأخذ ما يناسبه من الاشارات والبهاء زهير لا يكثر عليه مثل هذا فلقد سمعت مولانا عارف الوقت الشيخ شمس الدين البكري أدام الله سدده يقول أنه كان اماماً عارفاً أو ذا لسان عارف وعلامة هذا القسم الأسعاف بالمطلوب وان لم يكن كل آن والتلطف بالعاشق ورفع محله في غصون الهوان وهم يرون اليسير خطيراً والقليل كثيراً قال استاذ الوجود في هذا المعنى

ففي نظرة منها ولو عمر ساعة ترى الدهر عبداً طائعاً ولك الحكم

وفوق ذلك قوله رضي الله عنه

وان لم أفز يوما إليها بنظرة لعزتها حسبي افتخاراً بتهمتي
ودون اتهامي ان قضيت اسى فما اسأت بنفس بالشهادة سرت

فانظر كيف ارتضى بان يموت محباً وان لم يعلم به أحد ويكون شهيداً مع

ذلك فائزاً بالسعادة في غاية الرضا بذلك بعد إذ سأل الوصل أولاً ثم نظرة ما في يوم ما ثم التهمة بالمحبة الصادقة على العدم ثم هـــذه الرتبة وما أحسن التكميل بعزة النظرة في هذا المقام وعلاج هذا القسم ينحصر في الصبر المقرون بالرضا ثم التسليم الخالي عن الشوائب المكدرة ومعنى قوله رضي الله عنه ولو عز فيها الذل يحقق ذلك ، وأما قوله

ونفس ترى في الحب أن لا ترى عنا   متى ما تصدّت للصبابة صـــدت

فزجر ينفي ويمنع غير النفوس الزكية والهمم العلية عن سلوك هذه المرتبة السنية (رجع الى كلام المترسمين) قال بعضهم هجر الدلال أعذب من الوصال.

ويـــدل هجركم على انــي خطرت ببالكم

(وقال آخر)

لئن ســاءني أن نلتني بإساءة   لقد سرني اني خطرت ببالك

ويستحب لمن وسم بالجمال وأخذ بالقلوب النساء والرجال أن يكون كثير التدلل قليل التبذل فان ذلك أدعى للسلامة وأبعد عن الملامة (ابن وكيع).

قالوا عشقت كثير التيه ممتنعـاً   فقلت هيهات عنكم غاب أطيبه
لو جادها وقلت الجود عادتـه   وإنما عز لمــا عز مطلبـــه

(العباس بن الاحنف)

يا قــوم لم أهجركم لمــلالة   مني ولا لمقال واش حــاسد
لكني جربتــكم فوجدتـــكم   لا تصبرون على طعام واحد

(وقلت)

عدي واضمري خلفاً يلذ بخاطري   كوصلك وعدمنك غايته الخلف
فعندي موتي في هواك وعلمـك   بذلك وصف لا يعادله وصف

(القسم الثاني هجر الملال)

هو هجر منشؤه الملازمة مع اختلاف الخصال وتكون المحبة فيه عريقة بل منشؤها علة على الحقيقة وسببه ما ذكر من الاختلاف وتحري النفس طلب الاعتساف وعلامته تأثير مباعدة المكان وطول الأزمان وعلاجه التحبب والتخلق بخلق المراد وسلوك كل ما أراد وربما محته الهدية والملاطفة بالاخلاق المرضية والصفح مع حسن الصبر والمجاوزة عن الزلة وان عظم الأمر وبعض العشاق من المترسمين صرح في علاجه بتباعد المكان والغيبة الممتدة الى مدة من الزمان وفيه أنشد .

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

هذا لا يحسن على اطلاقه إلا بعد تحقيق وثاقه وهو أن يكون للمحبة أمل وإنما ضعف بالملازمة والا فالبعد مع عدم ذلك غاية مطلوبه وصفة محبوبه

(القسم الثالث الهجر المعروف بهجر الجزاء والمعاقبة)

هو هجر سببه وقوع في ذنب ولو خطأ وعلامته قبول الاوبه عند صدق التوبة وعلاجه تصديق الحبيب في دعواه والنزول على حكمه والرضا بما يهواه والاعتراف بالذنب وان لم يكن صدر وطلب العفو ممن قدر والى هذا المشرب وسلوك هذا المأرب أشار سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه بقوله

عبد رق مارق يوماً لعتق   لو تخليت عنه ما خــلا كا

فقد حقق في هذا الباب أن لا محيص له عن هذا الجناب وانه يطلبه بكل حال لا ينحيه عنه في سائر الاحوال سوى طلب أو منع أو جلب أو دفع ثم دل على صدق كلامه وانعقاد قلبه على مطاوعته في مرامه فقال :

وبما شئت في هواك أختبرني   فاختياري ما كان فيه رضاك

ثم ارتفع عن هذه المرتبة ايضاحاً لمراتب السالكــين ودلالة على التنقل الموصل للناسكين حيث قال

وقد صرت مستدع قضاك وما به   رضاك ولا أختــار تأخير مدتي

فانه أبلغ من قوله

وان هددوا بالهجر ماتوا مخافة   وان أوعدوا بالقتل حنوا الى القتل

خلافاً لبعض الشراح لعموم ما في الأول بالنسبة الى هذا وبيانه يستدعي طولاً وأما قوله

وما غدرت في الحب إذ هدرت دمي   بشرع الهوى لكن وفت إذ توفت

فاصرح من جميع ذلك فيما نحن فيه بل ربما تمشى على القسم الأول أو هو له حقيقة .

(القسم الرابع الهجر الخلقي)

وسماه بعض الصوفية الأزلى يقال أن الجنيد رضي الله عنه فسرقو له ﷺ الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها أئتلف وما تناكر منها أختلف بان الله حيث أخرج عالم الذر جعله في كفه ثم أخذ العهد عليه ثم بذره فوقع بعضه متقابلاً ولهؤلاء هم المشتركون فى نسب أوجبت الصحبة وحققت المحبة وتدابر الآخر فحقت بين أفراده المقاطعة وجبلوا على الممانعة وهذا التقابل والتدابر يجوز حمله على حقيقته ويجوز أن يراد به أمر معنوي غايته الأختلاف وأسباب هذا كثيرة أعظمها عند المتمسكين بالشرائع اختلاف الأديان وعند مطلق العالم يستند الى الارادة الألهية حيث صرح بعجز أكمل مخلوقاته وعين أعيان سر صفاته عن قيام الناموس بدونها فقال عز وجل من قائل لو انفقت ما في الأرض جميعاً الآية وهـــذا القسم والذي قبله لا تعلق للعشاق بهما على ما اخترناه * وبعضهم يرى ان الثلاثة الأول من متعلقات العشق ويجمع بين الكلامين بتفاوت المراتب فان من بلغ الى قول الاستاذ رضي الله عنه وكل الذي ترضاه البيت لم يكن القسم الثاني فضلاً عن الثالث من متعلقاته وإذا عرفت ما قررناه ثبت عندك ان هذا القسم لا علاج له أصلاً إلا بالأرادة الألهيــة ثم الهجر من المحب الصادق قد يؤل الأمر فيه بالعاشق الى أن يخرج كلامه مخرج الدعــاء عليه ويكون في الحقيقة ثناء لديه وقد يستخير عند تمــادي الهجر وحكم الغرام حلول رمسه فيجعل ذلك الدعاء على نفسه وألطف ما سطر في الأول وعليه عند الظرفاء يعوّل قول الشاب الظريف المعروف بابن العفيف

أعز الله أنصـــار العيون وخلد ملك هاتيك الجفون
وضاعف بالفتور لها اقتدارا وان تك أضعفت عقلي وديني

وخلد دولة الأعطاف فينا   وان ثنت الفؤاد الى الشجون
وأسبغ ظل ذاك السعد يوما   على قدٍّ به هيف الغصون
وصان حجاب هاتيك الثنايا   وان جارت على الفذ الطعين

(وقال أيضاً)

أدام الله أيام الوصال   وخلد عمر هاتيك الليالي
وأسبغ ظل أغصان التداني   وزاد قدودها حسن اعتدال
ولا زالت ثمار الأنس تجني   تزيد لطافة في كل حال
ولا برحت لنا فيها عيون   تغازل مقلتي خشف الغزال

(وقال آخر)

يا رب إن قدرته لمقبل   غيري فالمسواك أولا كؤس
وإذا قضيت لنا بصحبة ثالث   يا رب فليك شمعة في المجلس
وإذا حكمت لنا بعين مراقب   يا رب فلتك من عيون النرجس

(وقال شهاب الدين بن العائم)

والله ما أدعو على هاجري   إلا بأن يمحن بالعشق
حتى يرى مقدار ما قد جرى   منه وما قد تم في حقي

(وقال آخر)

أيها المعرض صفحا   عن خطابي وجوابي
لا أرك الله عمري   أو يريني بك ما بي
ربِّ فاجعله دعاء   خائباً غير مجاب
رق قلبي ان يرى   قلبك في مثل عذابي

(وقال آخر)

كم جفاني فرمت أدعو عليه   فتوقفت ثم ناديت ذاهل
لاشفى الله طرفه من سقام   وأراني عذاره وهو سائل

(ابن وكيع)

إن كنت تعلم ما بي ... وأنت بي لا تبالي
فصار قلبك قلبي ... وصرت في مثل حالي
بل عشت في طيب عيش ... تفديك نفسي ومالي
دعوت إذ ضاق صدري ... عليك ثم بدا لي

(وقال آخر)

ولما بدا لي أنه غير رائدي ... وأن هواه ليس عني بمنجلي
تمنيت أن يهوي ويحيا لعله ... يذوق مرارات الهوى فيرق لي

(قالت)

لي طلعة الحسن واللطف ناضرة ... أرى كل أرباب المحاسن ناظره
لقد بطنت في كل معنى وصورة ... من الكون لما أصبحت فيه ظاهره
تضن على العشاق بالقتل في الهوى ... فما طلبي للوصل إلا مكابرة
ولكنني أرجو تبدل ما بنا ... من الميل واستكشاف حجب المساتره
فتطلبني من بعد ما أنا طالب ... لها وتحييني بحسن المحاضره
فيا رب خذ منها بحقي وانتصر ... لنفس غدت في أبحر الشوق حائره
ولا تستجب مني وسلطان عزها ... أدمه وان كانت على الناس جائره

ثم قد يتمادى الهجر ولا يسمع الدعاء ويعز الوصل ويصعب الرضا فيأخذ العاشق في مسح الدموع والانحطاط من أوج الارتفاع الى حضيض الخضوع . ولقطب هذه الدائرة وبدر سماء هذه الكواكب السائرة ذي المرتقة التي لا تلحق وقصب السبق التي لا تدرك والجواد الذي لا يسبق قوله

ومن درجات العز أمسيت مخلداً ... الى دركات الذل من بعد نخوتي
فلا باب لي يغشى ولا جاه يرتجى ... ولا جار لي يحمي لفقد حميتي

فقد أشار في هذين البيتين الى طرح حظوظ نفسه التي قد تكون مانعة

من الوصول بإشارة يدق إدراك كنهها عن العقول فقد أثبت له رتبة رفيعة بين أن تركها بعد علاج عظيم ومن ثم كان تدريجاً لعدم إمكان طرحها دفعة كا أفهمته الدرجات، والإضافة الى العز وعكس الحكم فى الطرف الآخر لإنه في غاية المقابلة وأكد ذلك بالاشارة الى غاية المحو الذي به حقق اثباته كا أشار بعده بقوله والفقد مثبتي وأما إشارته الى الدموع وفنسكابها فالغاية التي لا يدرك منها الناس إلا القشور فمنها قوله

فسهدي حي في جفوني مخلد ونومي بها ميت ودمعي له غسل

فانظر إلى غرابة هذه الاستعارات ولطف هذا التركيب وصحة هذا السبك الخالص من الزيف مع بلوغ المقصود ثم بالغ في تحقيق هذا المرام وارتقى في مسالك هذا المقام بقوله :

وامع هملت لولا التنفس من نار الجوى لم أكد أنجومن اللجج

وأبلغ منه قوله

فطوفان نوح عند نوحي كاد معي وايقاد نيران الخليل كلوعتي
فلولا زفيري أغرقتني مدامعي ولولا دموعي احرقتني زفرتي

لعكس التشبيه كما سبق في صدر هذا الباب وتكافؤ الضدين هنا ومن قال بتساوي المعنيين في القصيدتين لم يعرف معنى الطوفان بالنسبة الى اللجج في الأول لأنه انقلاب العناصر كلها الى واحد وهذا في الدقة كقوله رضي‌الله عنه وإن لم يكن مما نحن فيه

وتحفت أخفافها فهي تمشي من جواها في مثل جمر الرماد

حيث نسب تحفية الاخفاف الى حراره الجوى التي شأنها الصعود عكس الإخفاف فكأنه يقول لشدة هذه الحرارة استوعب الأحباز كلها وأما قوله

فلو بكى في قفار خلتها لججا وإن تنفس عادت كلها يبسا

وغيره فكثير لا يمكننا إدراك أقله وأني للبشر من حيث انه بشر ادراك دقائق الفيوضات الإلهية والكرامات التي خلفت المعاجز النبوية كما صرح به رضي الله عنه حيث قال

فعالمنا منهم نبي ومن دعا إلى الحق منا قام بالرسلية

وأصرح منه قوله

فما كان منه معجز أصار بعده كرامة صديق له أو خليفة

(رجع الى كلام المترسمين) قال القاضي الفاضل

قد استخدمت بالافكار سرى وما أطلقت لي بالوصل أجره
ولم أرهـــا على الأيام إلا عقدت مـــودة وحللت صره
ولا استمطرت سحب العين إلا وصرت بأدمعي في الشمس عصره

(ابن عبد الظاهر)

لا تسلني عن أول العشق اني أنا فيه قـــديم هجر وهجره
من دموعي ومن جبينـــك أرخت غرامي بمستهل وغـــره

(المتنبي)

أتراها لكثرة العشـــاق تحسب الدمع خلقة في الأماقي

(وله أيضاً)

وهبت السلو لمن لا منى وبت من الشوق في شاغل
كأن الجفون على مقلتي ثيـــاب شققن على ثاكل

(وقال آخر)

ولم أنس لا أنس ذاك الخضوع وفيض الدموع وغمز اليد
وخدي يضاف الى خدهـــا قياما الى الصبح لم نرقد

(ابراهيم بن المعمار)

وبي غضبان لا يرضيه إلا … دموع ساكبات مستمره
فما عطفت معاطفة بوصل … وفي عينيّ بعد الهجرقطره

(وقال آخر)

وقال ما بال عينيك مذ رأت … محاسن هذا الظبي أدمعها هطل
فقلت زنت عيني بنظرة طلعة … فحق لها من فيض أدمعها غسل

(السري الرفاء)

بروحي من رد التحية ضاحكا … فجدّد بعداليأس في الوصل مطمعي
وحالت دموع العين بيني وبينها … كأن دموع العين تعشقة معي

(وقال آخر)

وقائلة ما بال دمعك أسودا … ولونك مصفراً وأنت نحيل
فقلت لها أن الدموع تجففت … وهذا سواد المقلتين يسيل

(ابن وكيع)

وسحاب إذا همي الماء فيه … ألهب الرعد في حشاء البروقا
مثل ماء العيون لم يجر إلا … ظل يذكي على القلوب الحريقا

(المسعودي شارح المقامات)

قالت عهدتك تبكي … دماً حذار التنائي
فلم تعوّضت عنها … بعد الدماء بمائي
فقلت ما ذاك مني … ولم يكن بمنائي
لكن ضلوعي شابت … من طول عمر التنائي

(وقال آخر)

كانت دموعي حمراً يوم بينهم … فمذ نأوا قصرتها بعدهم حرقي

قطفت باللحظ ورداً من خدودهم   فاستقطر البين ماء الورد من حدقي

(ابن الناشيء الأكبر)

بكيت الفراق وقد راعني   بكاء الحبيب لفقد الديار
كأن الدموع على خدها   بقية طل على جلنار

(وقلت)

ومحجوبة مذ كلمتني كلمت   فؤادي وألقت بين سمعي وناظري
الى أن رأتها مقلتي فاض دمعها   على الأرض أمثال البحور الزواخر
فقالت عقيقاً ما أرى قلت بل دمي جرى عندما من هجرك المتواتر

(فصل)

في نفي كدر الهم والصدود باستجواب الأماني والوعود والتعلل بالأمـــاني والطمع في التهاني وهو أصل انقسمت فيه العشاق الى قسمين قسم وفي له محبوبه وحصل له بعد الوعد مطلوبة وهو العزيز النادر وغـير الوافي الوافر وقسم مات بغصته وحالت المنية بينه وبـين أمنيته وانتهاز فرصته وأعجب ما فيه أن الراضون به مع العـلم بزوره أكثر العشاق وأغلب من نودي عليه في هذه الأسواق وقد كشف عن غامض هذه الطريقة واستثنى الرضا بزور هـــذه الحقيقة الأستاذ رضي الله عنه فقال :

عديني بوصل وأمطلي بنجازه فعندي إذأ صح الوفا حسن المطل
وما الصد إلا الود ما لم يكن قلي وأصعب شيء دون اعراضكم سهل

ثم تجرد من ثياب هذه الطريقة وانغمس في بحـار الحقيقة فانطوت نفسه الأبية في مطاوي الحقائق القدسية فقال

ان لم يكن وصل لديك فعد به أملي وماطل ان وعدت ولا تفي

وأما المترسمة فقد أكثروا في هذا الباب الأقوال واختلفوا باختـــلاف الاحوال قال بعضهم

أعلل بالمني قلبي لعلي أروح بالأماني ألهم عني
وأعلم انوصلك لا يرجى ولكن لا أقل من التمني

(وقال آخر)

وما بلوغ الأماني في مواعدها الا كاشعب يرجو وعد عرقوب

ومن كلام افلاطون الأماني حلم المستيقظ وسلوة المحروم وقال غيره التمني مؤنس ان لم ينفعك فقد الهاك. قيل لأعرابي ما أمتع لذات الدنيا قال ممازحه الحبيب ومحادثة الصديق وأماني تقطع بها أيامك.

(ياقوت الرومي)

لله أيام تقضت بكم ما كان أحلاها وأهناها
مرت فلم يبقى لنا بعدها شيء سوى ان نتمناها

(ابن الوردي)

وشادن قلت له هل لك في المنادمه
فقال كم من عاشق سفكت في المني دمه

(الحسين بن الضحاك)

وصف البدر حسن وجهك حتى خلت اني ومـا أراك أراك
وإذا ما تنفس النرجس الغض توهمته نسيم شذاك
خدعات المني تعللني فيـك باشراق ذوا بهجـة ذاك

(ابن أبي حجلة)

رقي لصب غـدا مما يـكابده من دمعه الصب يجري في مجاريه
لم يبق فيه سوى روح يرددهـا لولا المني مات يا أقصى أمانيه

(وقلت)

عدى فتى شفت الأسقام مهجته بزورة منـك يا أقصي تمنيه
فالهجر منك لكاس الموت بسلمه والوعد منـك ولو بالزور يحييه

وقد ذم قوم الرضا بالوعد والأماني وعدوا ذلك جنوناً ومشى على ذلك جمع كثير .

الخالدي)

ولا تكن عبد المنى فالمنى رؤوس أموال المفاليس

(ابن المعتز)

لا تأسف من الدنيا على أمل فليس باقيه إلا مثل ماضيه

قال عليّ كرم الله وجهه اجتنبوا المنى فانها تذهب ما خولتم وتصغر المواهب التي رزقتم وقال رجل لأبن سيرين اني رأيت كأني أسبح في غير ماء وأطير بغير جناح فقال أنت رجل تكثر الأماني وسمع الحجاج ليلة لبانا يقول أبيع اللبن بكذا واشتري بضاعة فأكسب فيها كذا فيكثر مالي فاتزوج ابنة الحجاج وتلد لي ولداً وآمرها يوماً بشيء فلم تطع فارفسها هكذا ورفع رجله فكب اللبن فدخل الحجاج فضربه خمسين سوطاً وقال ألست تفجعني في ابنتي لو فعلت بها هذا .

(وقال آخر)

لما بدا العارض في خده بشرت قلبي بالنعيم المقيم
وقلت هذا عارض ممطر فجاءني فيه العذاب الاليم

وأما الرضا بالدون من المحبوب والقناعة باليسير من المطلوب وان طال الوعد وكثر الخضوع وأمتد البعد وانسكبت الدموع فصفة العاشق القانع الملقى عن نفسه المطامع المنزه محبوبه عن التكليف . المشفق عليه من نحو التعنيف وقد أتصف به جم غزير عدوا فيه أقل القليل أكثر الكثير وليس في هذا النمط الطف من جميل في قوله واني لأرضى من بثنية الأبيات السابقة في قصته .

(وقوله)

ألست أرى النجم الذي هو طالع عليها فهذا للمحبين نافع
عسى يلتقي في الأفق طرفي وطرفها فيجمعنا إذ ليس في الأرض جامع

(وقال بعض الاعراب)

أليس الليل يجمع أم عمرو وايانا فذاك لنا تدانى
نعم وأرى الهلال كما تراه ويعلوها النهار كما علاني

(وقال بعضهم)

الى الطائر النسر انظري كل ليلة فاني إليه بالعشية ناظر
عسى يلتقي طرفي وطرفك عنده فنشكو إليه ما تكن الضمائر

(وقال بعض الاعراب)

وما نلت منها وصلها غير أنني إذا هي بالت بلت حيث تبول

(وقال بعضهم)

وكن قنوعاً فقد جرى مثل ان فاتك اللحم فاشرب المرقه

هذه إشارة الى مثل يضرب للقناعة باليسير وأصله أن الهدهد قال لسليمان عليه السلام أنت في ضيافتي بجميع عسكرك في جزيرة كذا فلما حضروا أخذ جراده ورمى بها في البحر وقال يا نبي الله من فاته اللحم فليشرب المرق فكان سليمان عليه السلام يضحك من ذلك إذا ذكره وعكس هؤلاء من مد الى المحبوب باعه وأوسع آماله وأطماعه فلم يرض إلا بامتزاج الأشباح فضلاً عن الأرواح والتأليف الذي لا يمكن تمييزه كالماء والراح حتى يراهما واحداً في العين الأحوال الذي يرى الشيء اثنين .

(قال بعضهم)

وكدت وهو صجيعي أن أقول له من شدة الحب قد أبعدت فاقترب

(ابن الرومي)

أعانقه والنفس بعد مشوقة إليه وهل بعد العناق تداني
وألثم فاه كي تزول حرارتي فيشتد ما القى من الهيمان
كأن فؤادي ليس يشفي غليله تشفيه مما ترشف الشفتان
ولم يشف مقدار الذي بي من الجوى سوى أن ترى الروحان يمتزجان

(خالد الكاتب)

كأنني عانقت ريحـــانة تنفست في ليلهـــا البارد
فــلو ترانا في قميص الدجى حسبتنا في جسد واحـد

(نفطويه النحوي)

ولمـــا التقينا بعد بعد بمجلس نغارل فيه أعين النرجس الغض
جعلت اعتمادي ضمه وعناقـه فلم نفترق حتى توهمتـه بعضي

(أبو بكر الأربلي)

هم الرقيب ليسعى في تفرقنـــا ليلاً وقد بات من أهواء معتنقي
عانقته فاتحـــدنا والرقيب أتى فلما أتانا ما رأى غير واحـــد

(أبو الفضل)

سقيا لعيش مضى والدهر يجمعنا ونحن نحكي عناقا شكل تنوين
فصرت إذا علقت كفى حبائلكم بسهم هجرك تنوي ثم تنويني

(ابن سنا الملك)

وليلة بتنا بعد سكري وسكره نبذت وسادي ثم وسدته يـدي
وبتنا كجسم واحد في عناقنـــا وكالحرف في لفظ الكلام المشدد

قيل اعترض هذا بكون العروضيين تعد الحرف المشدد بحرفين فلو قـال في الخط لحسن مطلوبه . واجتمع ابن الجهم وابن عروس في سفينة فتـذاكر الشعر فقال ابن الجهم أنا أشعر منك حيث أقول

الأرب ليل ضمنـــا بعد هجعـة وأدني فؤاداً من فؤاد معـــذب
وبتنا جميعاً لو تراق زجاجـــة من الخمر فـــيما بيننا لم تشرب

فقال أحسنت ولكنني أشعر منك حيث أقول

لا والمنازل من نجد وليلتنـــا بعيد اذ جسداناً بيننا جسد

كم رام فينا الكرى من لطف مسلكه   نوما فما انفك لا اخذ ولا عضد

(بشار بن برد)

ومرتجة الأعطاف مهضومة الحشا   تمور بسحري عينها وتدور
إذا نظرت صبت عليك صبابة   وكادت قلوب العاشقين تطير
خلوت بها لا يخلص الماء بيننا   إلى الصبح دوني حاجب وستور

وكلام بشار وإن كان في الحقيقة أصلا للبيتين إلا أن ابن الجهم تلطف حيث أبدل الماء بالخمر لأنه اشد نفوذاً وأما ابن عروس فلا ألطف منه إذ لا شيء أشد سرياناً من النوم وحاصله أنه يمكن الجمع بين أهل القناعة باليسير من المحبوب ومن لا يقف على غاية في المطلوب باختلاف الأمكنة وصفاء الأيام والخلوّ من نحو واش وغمام ومجالس الورد والنمام فان من الحزم انتهاز الفرص ومن الحمق الوقوع في ضيق القفص ومن صفاله الزمان فجبن عن مطلوبه فهو زاهد في محبوبه ومن رأى العوائق دون مرامه فالحزم تقييد غرامه وقلت من الأول .

لقد صار يشفيني الهواء لمزجه   بانفاسها مع أن دائي من الهوى
ويفرحني ما جد في الصبح والمسا   لأني وإياها بمدركة سوا

(ومن الثاني)

رب ليل ضممتها فيه حتى   لو فرقنا كنا هيولي وصورة
مع أني سألتها القرب مني   بخضوع وان تمن بزوره

وهو معنى فوق ما قصد من لطف الخمر والكري إذ لا يتصور افتراق الهيولي والصورة بوجه وقد جعلت ذلك كالحال وقت الفرقة فلا أبلغ منه .

فصل في ذكر مكابدة الامور الصعاب عند طلب رضا الاحباب وخوض الأهوال واستهلال قضاء الآجال فضلاً عن بذل الاموال ليحصل من محبوبه على مطلوبه ويرضى باليسير كما سلف ولو كان ذلك يفضي الى التلف

وقد فتح للفريقين هذا المجال ونسج على هذا المنوال من شيد هذه الشريعة كلامه وصار بدر سمائها بل شمس آفاقها نظامه سيدي عمر بن الفارض نفعنا الله ببركاته وهدانا الى إدراك دقائق نفحاته فقال :

وافس ببذل النفس فيها أخا الهوى فان قبلتها منك يا حبذا البذل
ومن لم يجد في حب نعم بنفسه وان جاد بالدنيا إليه انتهى البخل

فانظر كيف اضرب عن ذكر ما سوى النفس وأن عز وأمر ببذلها من بادىء الرأي فكم طوى في ذلك من المراتب وهذا في الحقيقة اجمال بالنسبة الى قوله

بكل قبيل كم قتيل بها قضى أسى لم يفز يوماً اليها بنظرة

فانه أشار الى قطع كل رتبة بحيث ينتهي السالك الى ذهاب النفس وليس ذلك بشيء اذ قال انه لم يفز ولا بنظرة مع ذهاب نفسه وشرح ذلك واضحاً قوله

بحيث ترى إن لا ترى ما عددته وان الذي أعددته غير عدة

فانه يقول ان هذا المرام لا يعظم عنده شيء ومتى عدا لشخص بذلا

لنحو نفس فقد جعل له شيئاً بالنسبة الى المحبوب وهو خلاف المطلوب ودقائقه في هذا الباب معجوز عن حصرها كما تشهد به أولو الألبـــاب فلنرجع الى كلام المترسمة :

(الطغرائي)

لا أكره الطعنة النجلاء قد شفعت   برشقة من نبال الأعين النجل
ولا أهاب الصفاح البيض تسعدني   باللمح من خلل الأستار والكلل

(ابن خفاجة)

وليل طرقت المالكية تحته   أجد على حكم الشباب مزارا
فخالطت أطراف الأسنة أنجما   ودست بهالات البدور ديارا

(ابن بسام)

لقد صبرت على المكروه اسمعه   من معشر فيك لولا أنت ما نطقوا
وفيك داريت قوماً لا خلاق لهم   لولاك ما كنت أدرى انهم خلقوا

(وقال آخر)

يغوص البحر من طلب اللالي   ومن طلب العلا سهر الليالي
تروم المجد ثم تنـــام عنه   لقد أطمعت نفسك بالمحال

وأعظم من ذلك الملازمة على ذكر المحبوب عند نزول البلاء وتلف النفس وشدة الإبتلاء وأمام هذا الشأن والمنفرد بالسبق في هذا الميـدان الطغرائى قيل انه علق مملوكا لمؤيد الدين كان يهواه فحين بلغه نقم على الطغرائي فأراد قتله وأشهر شفقة على المملوك من الألسنة أن الطغرائي ملحد فشده الى شجرة وأمر أن تفوق إليه السهام وان لا يرموا حتى يأمرهم المملوك أمام الكل ثم أمر رجلا يسمع ما يقول الطغرائي وهو لا يشعر فإذا هو يقول

ولقد أقــول لمن يسدد سهمه   نحوي وأطراف المنية شرع
والموت في لحظات أحور طرفه   دوني وقلبي دونه يتقطع

بالله فتش في فؤادي هل ترى ... فيه لغير هوى الأحبة موضع
أهون به لو لم يكن في طيه ... عهد الحبيب وسره المستودع

فأطلقه ورفع شأنه

(أبو عطاء السدفي)

ذكرتك والخطى يخطر بيننا ... وقد نهلت مني المثقفة السمر
فوالله ما أدرى واني لصادق ... بنافتكت تلك اللواحظ أم سحر

(عنترة العبسي)

ولقد ذكرتك والرماح نواهل ... مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنها ... لمعت كبارق ثغرك المبتسم

(الطغرائي)

اني لاذكركم وقد بلغ الظما ... مني فاشرق بالزلال البارد
وأقول ليت أحبتي عاينتهم ... قبل الممات ولو بيوم واحد

(وقال بعضهم)

ذكرت سليمى وحر الوغى ... بقلبي ساعة فارقتها
فشبهت سمر القناقدها ... وقد ملن نحوي فعانقتها

(ابن رشيق)

ولقد ذكرتك والطبيب معبس ... والجرح منغمس به المسبار
وأديم وجهي قد فراه حديده ... ويمينه حذراً على يسار
فشغلتني عما يليق وانه ... ليضيق عن برحائها الاقطار

(الشريف البياضي)

ولقد ذكرتك في السفينة والردي ... متوقع بتلاطم الأمواج
والجو يهطل والرياح عواطف ... والليل مسود الذوائب داجي
وعلى السواحل اللاعادي عسكر ... يتوقعون لغارة وهياج
وعلت لأصحاب السفينة ضجة ... وأنا وذكرك في ألذ نتاج

(أبو الثناء محمود)

ولقد ذكرتك والسيوف لوامع   والموت يرقب تحت حصن المرقب
والحصن في شفق الدروع تخاله   حسناء ترفل في رداء مذهب
سامي السماء فمن تطاول نحوه   للسمع مسترقاً رماه بكوكب
والموت يلمع بالنفوس خاطري   يلهو بطيب ذكرك المستعذب

(الصفي الحلي)

ولقد ذكرتك والعجاج كأنه   مطل الغنى وسوء عيش المعسر
والشوس بين مجدل في جندل   مناو بين معفر في معفـــر
فظننت اني في صباح مسفر   بضياء وجهك أو مساء مقمر
وتعطرت أرض الكفاح كأنما   فتقت لنا أرض الجلاد بعنبر

(وقلت)

لقد رد روحي عندما رام نزعها   ملائكة ذكراك حين تلوته
فلو لم يكن موت البرية لازماً   اذا فرغت آجالهم ما نسيته

* تتمة *

تشتمل على ذكر مقاطيع فائقة وأبيات رائقة يشير بجموعها الى جميع الأصول السابقة وتترجم عندهم بالغزل والنسيب لإعراب مضمونها عن نحو محاسن الحبيب وتهييجها الأشواق المستقرة حيث يذكر الشعر والطرة وتفصيلها لتلك الجملة من حيث وصف الحاجب والمقلة وإثارة ما قر من البلبال عندذكر الوجنة والخال واستمالتها نفوس الأحباب عند ذكر الثغر والرضاب واتيانها بأعذب الموارد بعد ما حال الصدر إذ اذكر النهد والصدر ونشر مطاوي الأشواق إذا سمح مدح الخلخال والساق إلى غير ذلك مما اقترحته أفكارهم الدقيقة اللطيفة وتخيرته في هذا الباب أذهانهم الشريفة وبها نختم هذا المورد اللطيف وما يتعلق بالعشق من هذا التأليف « ذكروا » ان أعزل بيت للمتأخرين قول بشار

أنا والله أشتهي سحر عينيك وأخشى مصارع العشاق

« شمس الدين بن العفيف » :

يحكي الغزال مقلة ولفتة	من ذا رآه مقبلاً ولا افتتن
أحسن خلق الله وجهاً وفما	إن لم يكن أحق بالحسن فمن
في ثغره وشكله وخده	الماء والخضرة والوجه الحسن

ولما وصلت هذه الأبيات إلى القاهرة والشاعر المشهور يومئذ بها الحلي اقترح عليه بعض أعيان الدولة محاكاتها فقال

كم قد سفكنا من دموع ودما	على ربوع للديار ودمن

وكم قضينا للبكـــاء منسكاً لما تذكرنا بهـــن من سكن
وكم أقمنا بالبكـــاء مأتمـــاً إذ بعتهم روحي بغير مـــا ثمن

فاستحسن الجل أبيات الحلى ودامت الناس مدة طويلة مفترقين في ذلك والغزل كما سمعت كثير الفنون والشعب وقد توسعت فيه أهل الأدب فمن الأول قول ابن نباتة

أيهـا العـاذل الغبي تأمـــل من غدا في صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرة وجبـــين ان في الليل والنهار عجائب

(وله أيضاً)

قلت وقد أبدي جبيناً واضحاً وفوقه ليل دلال قـــد سجا
أفـدي الذي جبينـه وشعره طرة صبـح تحت أذيال الدجى

(ابن مطران)

ظباء اعارتها المها حسن مشيها كما قـد اعارتها العيون الجـآذر
فمن حسن ذاك الشيء جاءت وقبلت مواطىء من أقدامهن الغـدائر

(اسمعيل السكندري)

لم أر قبل شعره وجهـه ليلاً على صبح نهار عسعسا
والسكر في وجنته وطرفه يفتـح ورداً ويغض نرجساً

(حسام الدين الجابري)

ومهفهف من شعره وجبينه تغدوا الورى في ظلمة وضياء
لا تنكروا الخال الذي في خده كل الشقيق بنقطه سوداد

(ابن الصائغ)

مشى غصناً ومـد عليه فرعا كحظي حين أطلب منه وصلا
وبلبله على الأرداف منه فلم أر مثـل ذاك الفرع أصلا

(السراج الوراق)

ذو طرة يعيذ هـارب الدجى وطلعة يعيـذ هـارب القلق

المـاء والنار معاً في خـده   أما ترى الماء طغى ثم احـترق

(شمس الدين بن العفيف)

بدا وجهه من فوق اسمر قـده   وقد لاح من سود الذوائت في جنح
فقلت عجيباً كيف لم يظهر الدجى   وقد طلعت شمس النهار على رمح

(المتنبي)

كشفت ثلاث ذوائب من شعرها   في ليلة فأرت ليـالي أربعـاً
وأستقبلت قمر السماء بوجههـا   فارتني القمرين في وقت معـاً

(آخر)

برزت فقابل ناظري من وجهها   مرآة حسن بالجمـال صقيـل

(ابن المعتز)

سقتني في ليل شبيه بشعرهـا   شبيهة خدها بغير رقيب
فامسيت في ليلين للشعر والدجى   وشمسين من خمر وخد حبيت

(البجلي)

رقت محاسنها ورق أديمـها   فتـكاد تبصر باطناً من ظـاهر
تندى بماء الورد مسبل شعرهـا   كالطل يسقط من جنـاح الطائر

(الخيزراني)

رأيت الهـلال ووجه الحبيب   فـكانا هلالـين عنـد النظر
فلم أدر من حـيرتي منهـما   هلال الدجى من هـلال البشر
فلولا التـورد في الوجنتين   ومـا راعني من سود الشعر
لكنت أظن الهـلال الحبيب   وكنت أظـن الحبيب القمر

(التهامي)

وفي كتابـك فاعذر من يهيم بـه   من المحاسن ما في أجمـل الصور
الطرس كالخـد والنونات دائرة   مثل الحواجب والسينات كالطرر

(آخر)

أرى سهم لحظ تحت عقرب سالف وكيف نجاتي بين سهم وعقرب
والحظ ما طلته باللحظ من دمي على وجنتيها والبنــان المخضب

(وقلت)

لله بالناس لطف في معــــايشهم لولاه لم تر موجـــوداً من البشر
إذ كف شعرك عنهم يوم حاجتهم للشمس في نحو نضج الحب والثمر
وعند حاجة ليل يسكنون بــه من المتاعب أبدي مسبل الشعر

(ومن الثاني قول ابن نباتة)

واغيد جارت في القلوب لحاظــه واسهرت الأجفان اجفانه الوسنى
أجل نظراً في حاجبيه وطرفــه ترى السحر منه قاب قوسين أو أدنى

(الواوا الدمشقي)

يا من هو الماء في تكوين خلقته ومن هو الخمر في افعــــال مقلته
ومن بن رقة سيف أللحظ طل دمي والسيف ما فخره الا بذرقتـــه
علمت انسان عيني أن يعوم فقــد جارت سباحتــه في بحر دمعته

(علاء الدين الوداعى)

رمتني سود عينيـــه فـــاصمتني ولم تبطى
وما في ذاك من بدع سهام الليل لا تخطى

(الصلاح الصفدي)

بسهم أجفانـــه رماني فذبت من هجره وبينه
ان مت مالي سواه خصم لأنـــه قاتلي بعينه

(ابن نباتة)

نسبوه حسناً للهلال وحسنه — للبدر ينسب لا بليت ببينه
فإذا بدا فإلى هلال أصله — وإذا رنا فهو الغزال بعينه

(الشيخ برهان الدين القيراطي)

بأبي سلطان حسن حسنه — لقتال القلب في الحب نوى
صال في العشاق منه ناظر — هو والسيف على حد سوا

(ابن نباتة)

ويح قلبي من كاسر الطرف أضحى — فيه قلبي كما ترى مكسورا
قد حمى ثغره بعينيه عني — وكذاك السيوف تحمي الثغورا

« الصلاح الصفدي »

سيوف ألحاظه المرضى سفكن دمي — ولم يطق دفعها حولي ولا حيلي
لولا السقام الذي فيها لما فتكت — وربما صحت الأجسام بالعلل

« الفرزدق »

ومقلة شادان أودت بنفسي — كأنَّ السقم لي ولها لباس
يسل اللحظ منها مشرفياً — لقتلي ثم يغمده النعاس

« بدر الدين بن حبيب »

عيناه قد شهدت بأني مخطىء — وأتت بخط عذاره تذكارا
يا حاكم الحب اتئد في قتلتي — فالخط زور والشهود سكارى

« جلال الدين بن خطيب داريا »

شهدت جفون معذبي بملاله — مني وان ودادة تكليف
لكنني لم أنا عنه لأنه — خبر رواه الجفن وهو ضعيف

« أمين الدين كاتم سر الشام »

ان كان قيد هواك أطلق أدمعي فوكيل شوقي عاجز عن حبسه
أو كان منك الطرف أسهر ناظري فلكل شيء آفـــة من جنسه

« الصلاح الصفدي »

غزال من الأتراك ماضاق لحظه لحظي إلا كي تضيق مذاهبي
كان الحشاطير وكاسر لحظه تصيدها من جفنه بالمخالب

« ابن أسد الدين »

الى الله أشكو حب أهيف فاتن وقعت فما لي من يديه خلاص
جرحت بلحظي خده وهو جارح بلحظيه قلبي والجروح قصاص

« وقلت »

يقولون ان الشمس تحرق كل ما تجاسده من كانسات الكواكب
فهاخذها المريخ مع شمس وجهها قد اقترنا في سمت قوس الحواجب
نعم قضيا لي بالشقاوة منهما بسهم لحاظ عاقني عن مطالبي

« ومن الثالث قول ابن قلاقس »

فوق خديك دليل ان نهديـك ثمار
مااختفى الرمان إلا وتبدى الجلنـــار

الصنوبري

ذات خد يكاد يدميه وهم من مشير بالجد أو بالمزاح
في بياض وحمرة فكان قد صيغ حسناً من ماء مزن وراح

محمد بن ياقوت

ما لي بجور الحبيب من قبل هل أحاكم عادل فيحكم لي

حمرة خديه من دمي صبغت ... ويدعى أنها من الخجل

علاء الدين المدني

يا حسن ورد طفا في ماء وجنته ... فزاد أهل الهوى في حبه شغفا
وراح يجني ثمار الوصل عاشقه ... لما تمكن من خديه واقتطفا

وقال آخر:

وأغيد تدمي وجنتاه من اللمح ... تخلق الا من صـدودي بالشح
غدا قاتلي ان ظلت أجرح خده ... متى صار بالقتل القصاص من الجرح

كمال الدين بن النبيه :

صنعة الكيمياء صحت لعيني ... حـين يزداد أدير اني احمرار
فإذا ما ألقيت اكسير لحظي ... في لجين الخدود عاد نضارا

مظفر الأعمى :

قبلته فتلظى جمر وجنته ... وفاح من عارضيه العنبر العبق
وحال بينهما ماء ومن عجب ... لا ينطفي ذا ولا ذا منه يحترق

وقال بعضهم

فتنت بتركي حماني عناقه ... عقارب صدغيه على خده صرعى
ألم تراني كلما رمت لثمه ... تخيل لي من سحرها انها تسعى

عز الدين الموصلي :

كالزرد المنظوم أصداغه ... وخده كالورد لما ورد
بالغت في اللثم وقبلته ... في الخد تقبيلا يفك الزرد

ابن الوردي

قال من أهواه صف صدغي بما ... فيـه توجيـه وحببـه الي
قلت ان الصدغ لام قد كوى ... نصبها قلبي فهذي لام كي

برهان الدين القيرطي

عنقود صدغ الذي أهواه يتمنى
وقال لي ريقه لما رأى وصبى
ان كان في الصدغ عنقود فتنت به
فإن في الخمر معنى ليس في العنب

وقال آخر

وبين الخد والشفتين خال
كزنجي أتى روضا صباحا
يحير في الرياض فليس يدري
أيجني الورد أم يجني الأقاحا

الصلاح الصفدي

بروضة خده المحمر أضحت
عليه شامة شرط المحبه
كأن الحسن يعشقه قديماً
فنقطه بدينار وحبه

(وهذا مأخوذ كما ذكره ابن حجة من قول ابن نباتة) :

بروحي فاتر الألحاظ ألمى
مليّ الحسن حالي الوجنتين
له خال على دينار خد
تباع له القلوب بحبتين

(العفيف التلمساني)

أدنته لي سنة الكرى فلثمته
حتى تبدل بالشقيق السوسن
ما راعني إلا بلال الخال من
خديه في صبح الجبين يؤذن

(شهاب الدين الخيمي)

وعذولي لج في عذلي إذ
لم ير الخال على الخد الأسيل
لو رأى وجه حبيبي عاذلي
لتفارقنا على وجه جميل

شمس الدين الصائغ

بروحي أفدي خاله فوق خده
وما أنا ذو مال فأفديه بالمال
تبارك من أخلى من الشعر خده
وأسكن كل الحسن في ذلك

جمال الدين بن نباتة

لله خال على خد الحبيب له ... بالعاشقين كما شاء الهوى عبث
أورثته حبة القلب القتيل به ... وكان عهدي بأن الخال لا يرث

الصلاح الصفدي :

أفدي حبيباً له في كل جارحة ... مني جراح بسيف اللحظ والمقل
تقول وجنته من تحت شامته ... لي أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

ابن الوردي :

لحبيبي شامة في خده ... لا علاشان حسود شانها
رب عين دهشت منه فقد ... نسيت في خده انسانها

وقال آخر :

يا سالباً قمر السماء جماله ... البستني في الحزن ثوب سمائه
أشعلت قلبي فارتمى بشرارة ... علقت بخدك فانطفت في مائه

ابن تميم :

رأيت حبة قلبي حين لاح لها ... محبوبها نفرت من حر أفكاري
ثم استجارت بخد منه فهي به ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

وقال بعضهم :

له على حاجبه شامة ... تنزهت في الحسن عن عائب
مثل طواشي زاد في حمقه ... يعلو على الناظر والحاجب

تقي الدين بن حجة

قلت للخال إذ بدا ... في نقاجيده السعيد
فزت يا عبد قال لي ... أنا عبد لكل جيد

وقال آخر:

غدا خاله رب الجمال لأنه على عرش كرسي الخدود قد استوى
وأرسل في الأصداغ رسلاً أعزة على فترة تدعـو القلوب الى الهوى

وقال آخر:

يريك بوجنتيه الورد غضـا ونور الأقحوان من الثنايا
تأمل منه تحت الصدغ خالا لتعلم كم خبايا في الزوايا

وقال آخر:

أبو طالب في كفه وبخده أبو لهب والقلب منه أبو جهل
وبنتا شعيب مقلتاه وخاله إلى الصدغ موسى قد تولى الى الظل

وقال آخر:

لهيب الخد حين رآه طرفي هوى قلبي عليه كالفراش
فأحرقه فصار عليه خالا وها أثر الدخان على الحواشي

القيراطي

أنظر إلى سطر عذار بدت من فوقه الشامات مثل النقط
صحت به نسخة حسن وكم قد راحت الأرواح فيها غلط

وقال آخر:

ومهفهف يحمي ورود رضـابه بصور أم سلت من الأجفان
كتب العذار بليقـة مسكية في خده سطراً من الريحان

أبو غالب :

سأصنع في ذم العذار بدائعا فمن شاء فليقض الدليل كما اقضي
إلا أنه كاللام واللام شأنها إذا الصقت بالاسم صار الى الخفض

البدر الدماميني

تحدث ليل عارضه بأني سأسلوه وينصرم المزار
فقال جبينه لما تبدى حديث الليل يمحوه النهار

سيدي أبو الفضل بن وفاء

على وجنتيه جنة ذات بهجة ترى لعيون الناس فيها تزاحما

حمى ورد خديه حماة عذاره   فيا حسن ريحان العذار حمى حما

ابن النبية :

جنت بمنظره البديع عيوننا   فتسلت بمدامـــع الأجفان
واخضر فوق الخد آس عذاره   فعجبت للجنات في النيران

تاج الدين اليماني :

بخلت لواحظ من رآني مقبلاً   برموزهـــا ورموزهن سلام
فعذرت نرجس مقلتيه لأنه   يخشى العــذار لأنه نمـــام

الصلاح الصفدي

عذارك والطرف يا قاتـــلي   يحاكيهما الآس والنرجـــس
وقد صار بينهما نسبـة   فهــذا يــدب وذا ينعس

الطنبغا الجاولي :

عذارك والطرف قد أظهرا   جميع الذي فيهـما يرمـز
وأنى يُصان الهوى عنهما   وهذا ينم وذا يغمز

وله أيضاً

من قال عما قد بدا في خد من   أحببته شعراً به ما أنصفـــا
هذاك نمل رام شهــده ريقــه   فــرأى تـلهب خــده فتوقفا

محمد بن الرعاد

أعد نظراً فما في الخد نبت   حماه الله من ريب المنون
ولكن رق ماء الخد حتى   أراك خيال أهداب الجفون

عز الدين الموصلي :

لقد كنت لي وحدي ووجهك جنتي   وكنا وكانت للزمان مواهب
فعارضني في ورد خدك عارض   وزاحمني في ورد ريقك شارب

ابن نباتة

وأحور يا من هوى رشيق   معتدل كالقضيب مائل

عذراه لا يجيب دمعي وسائل لا يجيب سائل

(الشهاب الحجازي)

سال العذار بخده فإذا المبيض في خديه سود
ولسان حال الخد ينشدها هل بالطلول لسائل رد

(الزين المصري)

ان ماس فالغصن بالأوراق مستتر أو لاح فالبدر بالأنواء محتجب
عذراه بسواد القلب منتقش وخده بدم العشاق مختضب

(وقلت)

يا وجنة من تحت اصداغها لأنفس العشاق كم تجذبي
وهاجة كادسنا برقها يذهب الأبصار لم يحجب
أهل المجسطي لو رأوها قضوا بشرف المريخ في العقرب

(وقالت)

يا عجباً للخال في خدها كيوان بالمريخ يستمسك
نحسان دلا في اقتران على ان دم الصب هنا يسفك
يا مطلب طلسمه مانع هل مطلب الإله مهلك

(وقلت)

سألتها عن بياض في وجنتيها وحمره
إذا طريق اجتماع قالت وراية نصره

(وقلت في العذار)

جرى الخلف في نبت العذار فذاهب الى انه مسك على الورد منثور
ومن قائل آس فقلت كلاهما غدا مصلحاً للورد إذ فيه كافور

(ولبعضهم)

ولا تحسبن الخال في الشفة التي يتيه بها المحبوب نقصاً ولا خلل

ولكنه ختم على ما بثغره من الدر والياقوت والخمر والعسل

(ومن الرابع قول بعضهم)

سألته في ثغره قبلة فقال ثغري لم يجز لثمه
فهاكها في الخد واقنع بها ما قارب الشيء له حكمه

(وقال آخر)

وموعدي بقبلة أرشفها من مبسمه
سوّف بي ولم يزل يوعد لكن بفمه

(وقال آخر)

ذكرت ريــق حبيبي بشرب راح معطر
وليس ذا بعجيب فالشيء بالشيء بذكر

(جمال الدين بن نباتة)

وأغيد في فيه المـــدام ولحظه وفيّ وفي أعطافه نشوة السكر
تداويت من الحاظه برضا بـــه كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

(وقال آخر)

نقل ألا رآك بان ريقــة ثغره من قهوة مزجت بمــاء الكوثر
قد صح ما نقل الا رآك لأنـــه يرويه حقاً عن صحاح الجوهري

(الصلاح الصفدي)

يا ثغره ليس الثنايا التي تضيء غـير الأنجم الغر
فليقـل المسواك ما عنده فهو عن الضحاك والزهري

(ابن قلاقس)

جمعت نكهتـه في ثغره عبقا في نسق يسبي الحدق
وبدت خجلته في خـده شفقاً في فلق تحت غسق

(وقال آخر)

خد وثغر فجل رب بمبدع الحسن قد تفرد
فذا عن الواقدي يروي وذاك يروي عن المبرد

(شمس الدين بن الصائغ)

بروحي من ولى فولى بمهجتي و ولى منامي فهو كالوصل شارد
حمى ثغره عني بسيف لحاظه وحتام يحمي ريقه وهو بارد

(الصلاح الصفدي)

رشفت ريقك حلوا فلم يكن لي صبر
وسوف أحظى بوصل وأول الغيث قطر

(ابرهيم بن المعمار)

عزمت على رقيا محاسن وجهه بانوارِ آيات الضحى حين أقبلا
فلما بدا يفتر عن نظم ثغره بدأت ببسم الله في النظم أولا

(الصلاح الصفدي)

أحببته كالغصن كم شاعر له عليه نوح ورقاءِ
وثغره الصادي من حسنه يحار في تشبيهه الطائي

(يوسف بن مسعود)

رأى ثغر من أهوى عذولي فلامني ولم يدر أن اللوم في حبه يغري
شغلت بهذا وارتبطت بحسنه واحسن ما كان الرباط على الثغر

(النواجي)

لله ثغر للحبيب تجمعت في ضمنه للعاشقين نفائس
فيه الرحيق وخاله المسك الختام وفيه فليتنافس المتنافس

(الصلاح الصفدي)

قــد شبه الخال على ثغره تشبيه من لا عنـده شك
بسبحـةمن جوهر أودعت حق عقيق ختمـه مسك

(ابن ريان)

لاحت على مبسمه المشتهى ثلاث شامات غدت في التثام
لا تعجبوا ان كثرت حوله فالمنهل العذب كثير الزحام

(ابن الوليد)

أريقاً من رضا بلك أم رحيقـاً رشفت فلست من سكرى مفيقاً
وللصهباء أسمـاء ولكن جهلت بان في الاسماء ريقـا

(شيخ الشيوخ بحماة)

سألته من ريقـه شربـة اشفى بها من كبـدي حره
فقال أخشى يا شديد الظمـأ ان تتبع الشربـة بالجرّه

(الحريري)

نفسي الفداء لثغر راق مبسمه وزانه شنب ناهيـك من شنب
يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد وعن اقاح وعن طلع وعن حبب

(ابن عنين)

يا غزالاً أرى الغواية رشداً في هواه واحسب الرشد غيـا
ما رأينا قبل ابتسامك بدر التم يفترّ عن نجوم الثريا

(ابن ثنا الملك)

له فم يمنعه ضيقه ان يخرج اللفظ بتقويم
ولفظه سكران من ريقه فهو لهـذا غير مفهوم
ما فمه مـيم ولكنه علامة الجزم على الميم

(وقال آخر)

كان على انيابها الخرجه بماء الندى في آخر الليل عابق
وما ذقتة إلا بعيني تفرساً كما شيم من اعلى السحابة بارق

(ابن الرئيس)

لئن كان من لؤلؤ ثغرها فان له صدفا من عقيق
وان كان من اقحوان النبات فان مشاربه من رحيق

(أبو العشائر)

ثغر كلمع البرق حسن بريقه يشفي فؤاد المستهام بريقه
قدبت الثمه وارتشف المني من دره ورحيقه وعقيقه

(وقال آخر)

بأبي فم شهد الضمير له قبل المذاق بأنه عذب
كشهادتي الله خالصة قبل العيان بأنه رب
والعين لا تعبأ بنظرتها حتى يكون دليلها القلب

(أبو عبادة ويعزى الى يزيد بن معاويه وهو الصحيح)

واستمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً وعضت على العناب بالبرد

وهو من قصيد كلها ملح وعيون وساذكرها في الغزل المطلق وأما بيت أبي عبادة الذي بني عليه الحريرى المقامة الحلوانية فهو

كانما تبسم عن لؤلؤ منصداً وبرد أو اقاح

(الحريري)

سألتها حين زارت نضو برقعها القاني وإيداع سمعي أطيب الخبر
فزحزحت شفقاً غشى سنا قمر وساقطت لؤلؤاً من خاتم عطر
وأقبلت يوم جد البين في حلل سود تعض بنان النادم الخصر

(وقلت)

أقول لمن بالطب أصبح جاهلا مقالاً صحيحاً قيما غير ذي عوج

يرى ثغرهاخصراً على ذى حرارة لأن به شهداً مع الخمرة امتزج
* أغرق أن الخمر أنى مذجتها بشهد أتت بالحرفي رابع الدرج
أما اعتدلت إذ جاورت بردا به تنضد والجريال في ذلك الفلج
وهبك جهلت الطبع ماذاتقدلفي عقيق وبلور فيه قد نتج
وبينهما خلف طويل مفصل بكتب أرسطو والذي قبله درج

(وقلت)

أرى ريقها عند الشفاء لكل ما تعذر من داء عن البرء أو فسد
عليك به فهو النجاة لشارب وان جاوز القانون فيه أو اقتصد
فهذي إشارات كفت كل عاقل وان قيل شيء غيرها ليس يعقد

(وقلت)

عجبت من المسواك يرشف ريقها مدى الدهر لا يحميه منذاك مانع
ويبقى جهذاً كيف لم يحى بالحيا وتفنى الليالي وهو أخضر يانع
رضاب يقوم الميت ان شم عرفه ولو قطعت أوصاله والا ضالع
فقال خشيت الهجر منها فعاقني فحسبك عذر في جوابي قاطع
بنفسي ثغر قلت إذ لاح نوره أبرق بدا من جانب الغور لامع
وبرد رضاب قلت عند وداعه زمان اللقا بالخيف هل أنت راجع

وقد أكثروا من هـذا النمط أعني التشبيب بالوجه وأعضائه البسيطة والمركبة لكونه أشرف وابهج وأعلى وألطف وأما ما عداه فنادر ان تيسر لشاعر بيت أو بيتان أو أكثر في عضو يعينه أما في ضمن غيره فكثير سنورد منه ما تيسر حسبما شرطنا واما مطلق القامة بما فيها فأكثر من أن يحصى ما فيه وما قيل من أن أول من وصف الندى عمرو بن كلثوم

وثدي مثل حق العاج رخص مصان عن أكف اللامسينا

فأمر يحتاج الى مزيد استقصاء واحاطة لأن العرب تغزلت كثيراً غاية الامر أن المتأخرين ألطف فمن وصفهم الجيد في ضمن غيره قول بعضهم :

لها جيد أمّ الخشف ريعت فاقبلت　ووجه كفر الشمس ريان مشرق
وعين كعين الظبي فيها ملاحة　هي السحر أو اد هي التباسا أو أعلق

(دعبل)

اتاح لك الهوى بيض حسان　سلبنك بالعيون وبالنحور
نظرت الى النحور فكدت تقضي　فاولى لو نظرت الى الخصور

(ابن الرومي)

صدور فوقهن حقاق عاج　وحلى زاي حسن اتساق
يقول الناظرون إذا رأوها　أهذا الحلى من هذا الحقاق
وما تلك الحقاق سوى ثديّ　قدرن من الحقاق على وفاق
نواهد ليس يعدوهنّ عيب　سوى منع المحب عن العناق

(المهلبي)

أقاتلتي بفتور الجفون　ورمانتين على معصر
كحقين من لب كافورة　برأسيهما نقطتا عنبر

(الرقاء)

ومن وراء سجوف الحي شمس ضحى　تجول في جنح ليل مظلم داجي
مقدودة حفظت أيدي الشباب لها　حقين دون مجال العقد من عاج

(الثعالبي)

قد حجبت وجهها عن النظر　بمعصم حل عقد مصطبري
كأنه والعيون ترمقه　عمود صبح في دارة القمر

(وقال بعضهم)

كأن الشدايا إذا ما بدت　وزين منها النهود الصدورا
حقاق من الدر مخروطة　يسعن من المسك شيأ يسيرا

(الحسن بن هاني)

* بأبي غادة تميس بقد تتثنى فتخجل الاغصانا
لمست صدرها فباهت وقالت غصن قدي قد اثمر الرمانا

(وقلت)

إذاب لهيب الخد منها بناره لجينا فمنه صيغ منبسط الصدر
وذاك برأي العين أما بلمس فلين حرير والنهود من الدر

ومن أوصافهم في الأرداف والخصور بالضميمة كما سبق قول عبد الوهاب السندوبي

قام فكادت لين أعطافه تقصها الأرداف من نهضه
فكيف يرجو الغير انصافه وبعضه جار على بعضه

(ابن قزل)

وأهيف القد بت أشكو له تلافى وما تلافى
فمال عطفاً ورق خصراً وانما ردفه تجافى

(آخر)

يا خصره كم جفاه تبدي وأنت نحيل
يا ردفه ملت عني ما أنت الا ثقيل

(ابن مكانس)

كسلت أرداف حبي فدموعي تتوالى
أيها المحبوب فارحم رب دمع فيك سالا

(الصلاح الصفدي)

أقول له قد رق عيشي والصبا وعقلي وكاساتي وصوت الذي غنى
وقال الذي أهواه خصري نسيته فقلت له والله قد جئت في المعنى

(سيف الدين المشد)

مهفهف القد نحيل الحشا يسبي الورى عمدا بطرف مريض

تلاعب الشعر على ردفه   أوقع قلبي في الطويل العريض

ابن سنا الملك

تلاعب الشعر على ردفه   أوقع قلبي في العريض الطويل
ياردفه جرت على خصره   رفقاً بـه ما أنت إلا ثقيل

ابن الوردي

إذا قيل ما ردفي وشعري أجبته   كثيف مهيل فوقه حية تسعى
وان قيل هل ترعى عذارى موريا   أقول له أي والذي أخرج المرعى

الصلاح الصفدي

لولا شفاعة شعره في صبه   ما كان زار ولا أزال سقاما
لكن تنازل في الشفاعة عنده   وغدا على أقدامـه يترامى

(البها زهير وهو مما شاع ولم نره في ديوانه)

حبذا نفحـة ريح فرجت عني غمـه
ضربت ثوب فتـاة أظهرت تيهاً وحشمه
فرأيت البطن والسرّة والخصر وثمـه

(الباخرزي فيما يكتب على التكه)

لم لا أتيه ومضجعي بين الروادف والخصور
واذا نسجت فانني بين الترائب والنحور
ولقد نشأت صغيرة يا كف ربات الخدور

(بشار)

نظرت في القصر عيني نظراً وافـق حيني
سترت لما أن رأتني دونـه بالراحتين
فضلت منه فضول تحت طي العكنتين

ليتني كنت عليه ساعة او ساعتين

ولها حكاية حاصلها ان المهدي دخل على بعض جواريه وهي مجردة فلما استترت منه بيديها فاض عنها فأنشد نظرت في القصر عيني وارتج عليه فاستدعى بشاراً فقال له أجز وأنشد الأبيات

العباس بن الأحنف

ومثلك لم أر في العالمين نصفاً قضيبا ونصفاً كثيبا
وأنت إذا ما وطئت الترا ب كأن ترابك للناس طيبا

أبو الحسين الجزار :

وكم ليلة أستغفر الله بتها بخدّ وثغر بين ورد وجريال
سرت راحتي غوراً ونجداً الى الضحى وماذاك إلا في خصور وأكفال

الصفي الحلي

إذا تثنت بأعطاف يجاذبها مدار غصن من الكشان ممطور
رأيت أمواج أرداف اذا التطمت في لج بحر بماء الحسن مسجور

وقال آخر :

واذا السوالف بالبنفسج جاورت ورد الخدود
وتموجت كتب الرواد ف تحت أغصان القدود
شاهدت في أيدي الظبا ء قياد أعناق الأسود

ابن نباتة

سألت النقا والبان ان يحكيا لنا روادف أو أعطاف من زاد صدها
فقال كثيب الرمل ما أنا حملها وقال قضيب البان ما أنا قدها

الصلاح الصفدي

أقول وقد نامت على حر وجهها وما لي عليها في الظلام دبيب

وان الكثيب الفرد من جانب الحمى | اليّ وإن لم آتــه لحبيب

ابن أبي حجلة

مالت كغصن مع الأرواح مياس | مصرية الحلى تبدو لي بمقياس
ما جنّ ليلي وأمسى حليها قلقا | إلا وثار بها جني ووسواسي
ولا بد أردفها الراسي اذا قعدت | إلا وباتت يدي منه على راسي

شمس الدين بن جابر النحوي وهو الشهير بالأعمى والبصير في شرح الألفية يعني باعتبار البصر في الأول والبصيرة في الثاني وبالعميـان في البديعية يعني انه مفرد ناب عن جمع فلا يغتر بقول ابن حجة والعميان لم ينظموا ولم يقولوا وأمثال ذلك مما يدل على الجمع وطالما كلفت بمعرفة هذا وسألت عنه فلم أظفر بمن يشفي العلة حتى رأيته في كلام العلامة السيوطي رحمه الله تعالى

مقدمة الأرداف ركب فوقها | مقدمة الخصر الذي هو ذابل
فتم قياس الحسن لما تركبا | وجاء على النظم الذي هو كامل
فانتج حسناً لم يلم فيه عاشق | بوجه ولم يوجد من الناس عادل

وله ايضاً

سبب خفيف خصرها ووراءه | من ردفها سبب ثقيل ظاهر
لم يجمع النوعان في تركيبها | إلا لأن الحسن فيهــا وافر

وله ايضاً

تعليق ردفـك بالخصر الخفيف له | ثلث الجمال وقد وقتـه اجعان
خدّ عليه رياض الحسن قد خلعت | وفي حواشيه للصدغين ريحـــان
محقق نسخ صبري في هواه ومن | توقيع مدمعي المنثـور برهان
ياحسن ما قلم الأشعار خط على | ذاك الجبـين فلا يسـلوه انســان
أقسمت بالمصحف السامي وأحرفه | ما مرّ بالبال يوماً عنـك سلوان
ولا غبار على حبي فعندك لي | حساب شوق له في القلب ديوان

وله أيضاً

وقفت يوم الوداع ملتفتاً أطمع في نظرة أرددها
فأعرضت والظباء تغبطها في حسن أعراضها وتحسدها
وكلفت لدن خصرها كفلا يكاد عند القيام يقعدها

وله ايضاً :

رقم الخال خدّها في اناء قمر الأفق فيه نقطة ليل
قلت ابن الكثيب والغصن قالت كلما قد ذكرته تحت ذيلي

وله ايضاً

ان شئت ظبياً أوهلا لا أودجي أو زهر بان في الكثيب الأميد
فللحظها ولوجها ولشعرها ولخدها والقدّ والردف اقصد

وله ايضاً

أقبلت في لازوردي علي ناعم أبيض لدن معجب
والحلي والوجه والثغر وما لمست والعطف والردف حبي
أنجما حفت ببدر في دجى في سماء فوق بان الكثب

ابن نباتة

أفدي التي تشتكي في مشيها وهما بالردف والخصر تثقيل وتخفيف
تدعو على الكتب والأغصان لاعنة فالكثب مهتوكة والغصن مقصوف

الشهاب الحجازي

قصدت رؤية خصر مذ سمعت به فقال لي بلسان الحال ينشدني
انظر الى الردف تستغني به وانا مثل المعيدي فاسمع بي ولاترني
وقلت

ما اخطأ الفيلسوف فيما   قرر من رفعة اللطافة
هاخصرها قد علالما قد   حواه في الظروف والترافة
ودونه الردف حط وصفا   مذ كان في غابة الكثافة

وقلت

قد غرت عشاقها   وتركهم للغزل
في خصرها وشببوا   بردفها والكفل
قلت الى كم تلهجوا   بسافل لا بعلى

وأما الأغزال المطلقة التنصيص العامة من غير تخصيص فكثيرة لا تحصى وغزيرة لا تستقصى فلنورد منها ما حسن وقعه في الاسماع وجلب القلوب السليمة الأذواق عند السماع شمس الدين بن العفيف

قف واستمع سيرة الصب الذي قتلوا   فراح في حبهم لم يبلغ الغرضا
رأى فحب فرام الوصل فامتنعوا   فسام صبرا فاعيا نيله فقضى

وقال آخر:

لو كان مالك عالما بذوي الهوى   زمحله من أضلع العشاق
ما عذب العشاق إلا بالهوى   وان استغاثوا غاثهم بفراق

المظفر الآمدي

قل للذين جفوني اذا لهجت بهم   دون الأنام وخير القول أصدقه
أحبكم وهلا كي في محبتكم   كعابد النار يهواها وتحرقه

ابن الوردي

دهرنا أضحى ضنينا   باللقاء حتى ضنينا
يا ليالي الوصل عودي   واجمعنا أجمعينا

ابن نباتة

أهلاً بسائرة الصبا من نحوكم ... وبما عهدنا من تعاهد طولها
أملت على الدهر المقطب ذكركم ... حتى تبسم ضاحكاً من قولها

الصفي الحلي

لا غرو أن يصلي الفؤاد بحبكم ... نار تؤججها يد التذكار
قلبي اذا غبتم يصوّر شخصكم ... فيه وكل مصور في النار

وقال آخر:

صلوا مدنفاً قد واصل السقم جسمه ... ومن بعدكم طيب الرقاد فقد فقد
بأحشائه نار يهب ضرامها ... ومن لي باطفاء الغرام وقد وقد

الأرجاني

تمتعتما يا مقلتيَّ بنظرة ... وأوردتما قلبي أمر الموارد
أعيناي كفا عن فؤادي فانه ... من البغي سعي اثنين في قتل واحد

الملك الصالح داود

عيون عن السحر المبين تبين ... لها عند تحريك الجفون سكون
إذا أبصرت قلباً خلياً من الهوى ... تقول له كن مغرماً فيكون

ابن اسرائيل

وقلت شهودي في هواك كثيرة ... وأصدقها قلبي ودمعي مسفوح
فقال شهود ليس يقبل قولها ... فدمعك مقذوف وقلبك مجروح

القيراطي

لما حدا بالركب حاديهم ... وأسمع الداني والقاصي
أطاعني دمع جرى نهره ... فدمعي الطالع كالعاصي

لؤلؤ

وأرقني خيال من حبيب | تنـــاءت داره لما أتاني
فمن سهري يلم فلا أراه | ومن سقمي يطوف فلا يراني

وقال آخر:

قد كان لي فيما مضى خاتم | فرق جسمي فتمنطقت به
وزاد بي السقم فلو زج بي | في مقـــلة النائم لم ينتبه

شمس الدين بن العفيف

فكم يتجافى خصره وهو ناحل | وكم يتحالى ريقه وهو بارد
وكم يدّعي صوناً وهذي جفونه | تفسر للعشاق منها مواعـــد

وله ايضاً

إذا ما رمت حل البند قالت | معاطفــه حمــانا لا يحل
وان جليت بوجنتيه مدام | يرى لعذاره دور ونزل

وقال آخر:

قال لي أهيف المعاطف صف لي | هيفي قلت يا رشيق القوام
لك قدّ لولا جوارح لحظيك | لغنت عليه ورق الحمـــام

ابن خفاجة

مهفهف طاوى الحشا | كالغصن يخطران خطر
فإذا رنا وإذا شـدا | وإذا سـقى وإذا سفر
فضح الغزالة والحمامة | والغمامــة والقمـــر

ابن أبي الحديد

بالله ضع قدميك فوق محاجري | فلقد قنعت من الوصال بذاكا
وأطل محادثتي فإن مسامعي | تهوي حديثك مثل ما تهواكا

ابن المستوفي

رأت قمر السماء فـأذكرتني ليـالي وصلنـا بالرقمتين
كلانا ناظر قمـراً ولكن رأيت بعينهـا ورأت بعيني

ابن نباتة

علقتها هيفاء حالية الطلى تجني على طرف المحب وقلبه
بخلت بلؤلؤ ثغرها عن لاثم فغدت مطوّقة بما بخلت به

الدمياطي :

وفتانه الألحاظ معسولة اللمى أهيم بها شوقاً إذ هي أعرضت
تصامت لما ان سمعت كلامها لتشفي قلباً بالإعادة أمرضت

الوادعي

قلت للعاذل المفند فيها يوم زارت وسلمت مختالة
قم بنا ندّعي النبوة في العشق فقد سلمت علينـا الغزالة

ياقوت

وعدت أن نزور ليلاً فألوت وأتت في النهار تسحب ذيلا
قلت هلاصدقت في الوعد قالت كيف صدّقت أن ترى الشمس ليلا

وقال آخر

تجلى محياها فخافت رقيبها فأرخت عليه من ذوائبها سجفا
محيا رآه الصب للحسن جامعا فأجرى عليه من مدامعه وقفا

ابن الرومي

نظرت فاقصدت الفؤاد بسهمها ثم انثنت عنه فكاد يهيم
ويلاه ان نظرت وان هي اقبلت وقع السهـام ونزعهن أليم

شمس الدين :

حتى إذا طاش عنها المرط من دهش وانحل بالضم عقد السلك في الظلم
تبسمت فأضاء الجوف التقطت حبات منتثر في ضوء منتظم

ابن الساعاتي

قبلتها ورشفت خمرة ريقها فوجدت نار صبابة في كوثر
ودخلت جنة وجهها فأباحني رضوانها المرجو شرب المسكر

الأرجاني

وفتانة صاغت سلاسل صدغها قيوداً على أعداد عشاقها الأسرى
تبسم عن درٍّ تنظم مثله فلم أر أحلى منه نظما ولا نثرا

وقال آخر :

نظرت اليها نظرة فتحيرت دقائق فكري في بديع صفاتها
وأوحى اليها الوهم اني أحبها فأثر ذاك الوهم في وجناتها

ابن مكناس

علقتها معشوقة خالها ان عمها بالحسن قد خصصا
يا وصلها الغالي ويا جسمها لله ما أغلى وما أرخصا

أمين الدين السليماني

أضيف الدجى معمى الى لون شعرها فطال ولولا ذاك ما خص بالجر
وحاجبها نون الوقاية ما وقت على شرطها فعل الجفون من الكسر

ابن الوردي :

ردفها والخصر منهـــا جل من ربى ودقق
نهدهـــا يطفي لهيبي فهو رمان محقـق

أبو الحسين الجزار

تكلف بدر السما إذ حكى محياك لو لم يشنه الكلف
وقام بعذري فيك العـذار فأجرى دموعي لما وقف

وله أيضاً

حمت خدها والثغرعن هائم شج له أمل في مـــورد ومورّد
وكم هام قلبي لارتشاف رضابها فأعرض عن تفصيل نحو المبرد

ابن النقيب

يا مالكي ولديك ذلي شافعي ما لي سألت فما أجبت سؤالي
فوخدك النعمان أن بليتي وشكايتي من جفنك الغزالي

شيخ الشيوخ بحماة

لنا من ربة الخالين جاره تواصل تارة وتصد تارة
تعاملني بما يحيى سلوى ولكن ليس فيجوفي مرارة

وله أيضاً

حروف غرامي كلها حرف اغراء على أن سقمي بعض أفعال أسماء

وله ايضاً

وبدر دجى لم ينتقل كسميه ولكنه مازال في القلب والطرف
يلوح لعيني ماشقاً نون صدغه فأعبد خـلاقي على ذلك الحرف

وله ايضاً

قلت وقد عقرب صدغاً له عن مشقة الحاجب لم يحجب
قدّست يا رب الجمال الذي ألف بـين النـون والعقرب

وله ايضاً

سبحان مورثه من حسن يوسف ما ... لم يبق الحجر لله والصبر من حصص
أقام للشعراء العذر عارضه ... فكم له في دبيب النمل من قصص

(وله أيضاً)

يا نظرة ما جلت لي حسن طلعته ... حتى انقضت وادامتني على وجل
عاتبت انسان عيني في تسرعه ... فقال لي خلق الانسان من عجل

(مجير الدين الدمشقي)

لما لبست لبعده ثوب الضنا ... وغدوت من ثوب اصطباري عاريا
أجريت واقف مدمعي من بعده ... وجعلته وقفاً عليه جاريا

(ابن لؤلؤ الذهبي)

رفقاً بصب مغرم ... ابليته صداً وهجراً
وافاك سائل دمعه ... فرددته في الحال نهراً

(ابن قرناص)

ووجنة قد غدت كالورد حمرتها ... وأشبه الآس ذاك العارض النضر
كأن موسى كليم الله اقبسها ... ناراً وجر عليها ذيله الخضر

(وله أيضاً)

ان الذين ترحلوا ... نزلوا بعين ساهره
انزلتهم في مقلتي ... فإذا هم بالساهره

(شمس الدين بن العفيف)

ايصعدني يا طلعة البدر طالع ... ومن شقوتي خط بخدك نازل
ولو ان قسا واصف منك وجنة ... لا عجزه نبت بها وهو باقل

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة مضمناً (فقال) :

تطاولت الأغصان تحكي قوامه ... وعند التناهي يقصر المتطاول

وأعيا فصيح الوقت نبت عذاره وعير قسا بالفهاهة باقل

(وله أيضاً)

وافى بوجه كالهلال مركب في قامة غصنيه هيفاء
وبمقلة خفق الفؤاد وقد رنت وكذا الجنون يكون عن سوداء

(وله أيضاً)

اسكرني باللفظ والمقلة الكحلاء والوجنة والكأس
ساق يريني قلبه قسوة وكل ساق قلبه قاسى

(وله أيضاً)

بأبي شادنا غدا الوجه منه يخجل النيرين في الأشراق
سلب القضيب لينها فهي غيظاً واقفات تشكوه بالأوراق

(وله أيضاً)

لو لم تكن ابنة العنقود في فمه ما كان في خده القاني ابولهب
تبت يدا عاذلي فيه فوجنته حمالة الورد لا حمالة الحطب

(سيف الدين بن المشد)

مسكية الانفاس تملي الصبا عنها حديثاً قط لم يملل
جننت لما ان سرى عرفها وما نرى من جن بالمندل

(وله أيضاً)

وشادن اوردني هجره لهيب حر الشوك والفرقه
أصبحت حران الى ريقه فليت لي من قلبه رقه

(علاء الدين الوداعي)

يفتن بالفاتر من طرفه وريقه البارد يا حار

(وله أيضاً)

ألحاظه وهي السيوف كليلة ويكون تعذيب الكليلة أطولا

وله أيضاً

ما كنت أول مغرم محروم من باخل بادي النفار كريم

وله أيضاً

فديت من مبسمه زهر لغصن قده
فصدغه مطوّق في روضة من خده

وله أيضاً

وذي دلال أهيف أحور أصبح في عقد الهوى شرطي
طاف على القوم بكاساته وقال ساقي قلت في وسطي

ابن نباتة

بروحي مشروط على الخد اسمر دنا وفي بعد التجنب والسخط
وقال على اللثم اشترطنا فلا تزد فقبلته الفاً على ذلك الشرط

وله ايضاً

وضعت سلاح الصبر عنه فماله يقاتل بالألحاظ من لا يقاتله
وسال عذار فوق خديه جائر على مهجتي فليتق الله سائله

وله أيضاً

لا تخف عيلة ولا تخش فقرا يا كثير المحاسن المختالة
لك عين وقامة في البرايا تلك غزالة وذي قتالة

وله أيضاً

بروحي معسول اللمى متحجب إذا لم يزر لم يهن عيش ولا اذا

وان ذقت منامن حلاوة ريقه   أتانا رقيب يتبع ألمن بالأذى

وله أيضاً .

بأبي نائم على الظرق راحت   في هواه وليس يعلم روحي
فاتح في الكرى فما سكريا   يا له من مسكر مفتـــوح

وله أيضاً

ومن الشقا ان الجفا وتشوّقي   لاينتهي هذا وذاكالىالطرف
ماماال غصنقوامهعن فكرتي   يوماً ولا دينارو جنتهانصرف

الصلاح الصفدي

وظبى معانيه بيان بديعها   له حار فكريأذ رأى كلمعجز
قرأت مقامات الحريري كلها   على خده مشروحـــة للمطرزي

وله أيضاً

قالت وقد مادت كغصنالنقا   اسرفت فيالعشق بلا فائدة
فقلت منهوم الهوى لم يكن   يشبع ان مدت له المـائده

ابن الوردي

ومليح اذا النحاة رأوه   فضلوه على بديع الزمان
برضاب عن المبرد يروى   ونهود تروى عن الرمان

وله أيضاً

عجبت في رمضان من مسحرة   بديعة الحسن إلا انها ابتدعت
جاءت تسحرنا ليلاً فقلت لها   كيفالسحور وهذيالشمس قدطلعت

وله أيضاً

أنحلتني حبيبـــة	أنحـــل الله خصرهـــا
كسرتني جفونهـــا	ضاعف الله كسرهـــا

وله أيضاً

مليح ردفه والساق منــه	كبنيان القصور على الثلوج
خذوا من خده القاني نصيباً	فقدعزم الغريب على الخروج

وله أيضاً

تقويم ثغرك صح يــامن ثغره	در يقصر دونه التقويم
اني لابكي من جفاك ولي أب	والثغر يضحك منك وهويتيم

وله أيضاً

ووعدت امس بأن تزور فلم تزر	فقعدت مسلوب الفؤاد مشتتا
لي مهجة في النازعات وعبرة	في المرسلات وفكرة في أهل أتى

ابن الصائغ

يا مليحا روو الناعنــة حسنا	وقبيح ان لم يكن تمّ حسنا
طبت لفظاً مع الرواة ولكن	ينبغي ان تطيب في الدهر معنى

ابن مكانس

بأبي عقيقة مرشف	برّت وكانت قبل عقت
فلثمتها ورشفتهــا	وقطعتها من حيث رقت

وقال والده

يقولون هل من الحبيب بزورة	ومنا كم المطلوب قلت لهم منى
فقالوا لنا غوصوا على دره وما	يحاكي اذا ما اهتز قلنا لهم غضا

وله أيضاً

بحق الله دع ظلم المعنى ومتعه كما يهوى بانسك
وكف الصديا مولاي عمن بيومك رحت تهجره بامسك

وله ايضاً

يا لائمي إذ فقدت الصبر في قمر أصداغه سلبت أهل الهوى وسبت
نبت سيوفي اصطباري عنه حين بدا آس العوارض في وجناته ونبت

سيدي أبو الفضل ابن وفاء

ما خادم واسمه في در مبسمه إلا اغن غضيض الطرف مكحول
وريقه مع ثناياه التي انتظمت كأنه منهل بالراح معلول

البدر الدماميني

وبي وجنة حمراء زاد صفاؤها فأبدت صفات أبدع الحسن كونها
فدع لائمي ينهى عن الحب جهده فما أنا بالسالي صفاها ولونها

وله أيضاً

تناسيت أوصاف من وصله ينفي عن القلب جميع الكرب
في الخد تسهيل ومن ثغره يطيب للصب ارتشاف الضرب

وله أيضاً

لا ما عذاريك هما أوقعا قلب المحب الصب في الحين
فجد له بالوصل واسمح به ففيك قد هام بلامين

وله أيضاً

قلت لعطار به صبوتي محمودة الصبر لا يستطاب
اسقيتني كاس غرام به ذبت وما أحسن هذا الشراب

الحافظ ابن حجر

سألوا عن عاشق في قمــر باد سنـــاه
أسقمته مقلتاه قلت لا بل شفتاه

وله أيضاً

رسول أتى ممن أحب فقال لي ترفق وهن واخضع تفز برضانا
فكم عاشق قاسى الهوان بحبنا فصار عزيزاً حين ذاق هوانا

وله أيضاً

ضنيت جوى فواصلني حبيبي وعاد الى الجفاء فعاد ما بي
فقلت أعد وصالي قال كلا فها أنا ذبت من رد الجواب

وله أيضاً

محبوبتي واصلتني والهم عني تشتت
وذاب قلب حسودي لـما دنت وتفتت

وله أيضاً

وأهيف حياني بطيب وصاله ومن ريقه الخمر الحرام حلالي
أدار لي الكاسين خمراً وريقة ونزهني عن جفوة وملالي

وله أيضاً

تجرد من أحب فقال لي من يلوم وأظهر الحسد المكتم
أجاد لك الحبيب بلثم جسم له كالخز قلت نعم وأنعم

التلعفري من قصيدة .

رشأ عهده وجفناه والخصر وجسمي كلا أراه عليلا
أشبهته البدر ونوراً ولكن ما حكمته لوناً وخصراً نحيلا
قمر جاعل من القلب والطر ف له في سعـوده إكليلا
كلما ضل عن طريق جفاه ظل فيه من الدليل ذليلا

بعث الصدغ منه فترة الجفن لانـــذار عاشقيه رسولا

وله ايضاً من قصيدة

هذا العذول عليكم ما لي وله أنا قد رضيت بذا الغرام وذا الوله
شرط المحبة ان كل متيم صب يطيع هوى ويعصى عذله

يزيد بن معاويه

أليل دجا أم شعرك الفاحم الجعد وبدر بدا أم وجهك المشرق السعد
ونرجسة هاتيك أم هي مقلة وتفاحة ذاك المضرج أم خد
نقا برد في فيك هذا منضد أبيني لنا أم لؤلؤ ضمه العقد
وحقان من عاج لطيفان ركبا بصدرك أم ثديان هذان أم نهد
ودعصان إذ وليت أم كفل يرى وكثبان رمل في الغلائل أم قد
وانك لو عاينت مابي من الأسى لقلت جنون ثابت بك أم وجد
إذا ما أتى من نحو أرضك مخبر تضوّع من أرجائه المسك والند
وقفت فأضجرت الرسول امسائلا وأنشدته بيتاً له المثل الفرد
وحدثتني يا سعد عنهم فزدتني شجونا فزدني من حديثك ياسعد

وله من قصيدة سلف صدرها في الغيرة

خذوا بدمي ذات الوشاح فإنني رأيت بعيني في أناملها دمى
ولا تقتلوها إن ظفرتم بقتلها بل خبروها بعد موتي بمأثمى
وقولوا لها يا منية النفس انني قتيل الهوى والعشق لو كنت تعلمى
لها حكم لقمان وصورة يوسف ونغمة داود وعفة مريم
ولي حزن يعقوب ووحشة يونس وآلام أيوب وحسـرة آدم
ولما تلاقينا وجدت بنانها مخضبة تحكي عصارة عندم
فقالت خضبت الكف بعدي وهكذا يكون جزاءً المستهام المتيم

فقالت وأبدت في الحشى حرق الجوى		مقالة من في القول لم يتبرم
وعيشك ما هذا خضابا عرفته		فلاتك بالبهتان والزور متهمي
ولكنني لما رأيتك نائبـــا		وقد كنت لي كفي وزندي ومعصمي
بكيت دماً يوم النوى فمسحته		بكفي وهذا الأثر من ذلك الدم
ولو قبل مبكاها بكيت صبابة		بسعدي شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا		بكاها فكان الفضل للمتقدم
خفاجية الألحاظ مهضومة الحشي		هلالية العينين طائيـــة الفم
منعمة الأعطاف يجري وشاحها		على كشح مرتج الروادف أهضم
وممشوطة بالمسك قد فاح نشرها		بثغر كأن الدر فيه منظم

(وله أيضاً من قصيدة طويلة)

نالت على يدها ما لم تنله يدي		نقش على معصم أوهت به جلدي
كأنه طرق نمل في أناملهـــا		أو روضة رصعتها السحب بالبرد
مليحة لو رأتها الشمس ماطلعت		من بعد رؤيتها يوماً على أحد
سألتها الوصل قالت لاتكن عبثا		من رام منا وصالا مات بالكمد
واسترجعت سألت عني فقيل لها		ما فيه من رمق دقت يداً بيد

واستمطرت البيت السابق في الثغر (البهاء زهير)

رقت شمائله فقلت شمول		وحوى الجمال فقلت ثم جميل
ودنا فما للبين فيه مطمع		ونأى فما للقرب فيه سبيل
أهواه أما خصره فمخفف		طاو وأما ردفـــه فثقيل
ريان من ماء الشباب مهفهفا		أرأيت غصن البان كيف يميل
حلو التثني والثنايا لم يزل		لي منهما العســـال والمعسول

أحبابنا أن الوشاة كثيرة		فيكم وان تصبري لقليل
أيخاف قلبي غدركم مع انه		جار أقام لديكم ونزيل
فأصدّ حتى لايقال متيم		وأزور حتى لايقال ملول

(وله أيضاً)

رعى الله من لم يرع لي حق صحبتي وسلم من لم يسخ لي بسلامه
وفي ذمة الرحمن من ذم صحبتي ولم أك يوماً ناقصاً لذمامه
وإني على صبري على فرط هجره وقرب مغانيه وبعد مرامه
يحاول طرفي لحظه في خياله ويشتاق سمعي لطفه في كلامه
ويوم وقفنا للوداع وقد بدا بوجه يحاكي البدر عند تمامه
شكوت الذي ألقى فظل مقابلا بكائي وشكوى حالتي بابتسامة
فما راق من شكواي غير خدوده ولا لأن من نجواي غير قوامه

وله ايضاً :

كلمني والمدام في فمه قد عبقت من حباب مبسمه
وراح كالراح في تمايله سكران يشتط في تحكمه
بالله يا برق هل تحدثه عن نار وجدي وعن تضرمه
وهل نسيم سرى يبلغه رسالة من فمي الى فمه
عجبت من بخله علي وما يذكره الناس من تكرمه
هم علموه فصار يهجرني رب خذ الحق من معلمه

وله أيضاً :

يا من لعبت به شمول ما ألطف هذه الشمائل
نشوان يهزه دلال كالغصن مع النسيم مائل
لا يمكنه السلام لكن قد حمل طرفه رسائل
ما أطيب وقتنا وأهنى والعاذل غائب وغافل
عشق ومسرة وسكر العقل ببعض ذاك زائل
كالبدر يلوح في قناع والغصن يميل في غلائل
والورد على الخدود غصن والنرجس في الجفون ذابل
والعيش كما أحب صاف والأنس بمن أحب كامل
مولاي يحق لي بأني عن مثلك في الهوى أقاتل

لي فيك وقدعلمت عشق   لا يفهم سره الأوائل
في حبك قدبذلت روحي   ان كنت لما بذلت قابل
لي عندك حاجة فقل لي   هل أنت اذا سئلت باذل
في وجهك للرضا دليل   ما تكذب هذه المخايل
ماأطلب في الهوى شفيعا   لى فيك غنى عن الوسائل
ذا العام مضى وليت شعري   هل يحصل لى رضاه قابل
ها عبدك واقف ذليل   بالباب يمد كف سائل
من وصلك بالقليل يرضى   الطل من الحبيب وابل

(وقلت وجميعه جناس خطى)

هواك مازج روحي قبل تكويني   وأنت ظلما بنار الهجر تكويني
صبرت فيك على أشياء أيسرها   ذهاب نفسي وقوم عنك تلويني
وكلما قلت صحت لى محبتها   أرى ودادك ممزوجاً بتلوين
قد حل عقد اصطباري طول هجرك لى   وليس غير وصال منك يبريني
اذا شممت شذا ريـاك منتشقا   فما نسيم أتى من نحو يبرين

(وقلت)

هيفاء كالغصن الرطيب اذا انثنت   تختال في نوبى حيـا ودلال
تسبي القلوب بأسرها فجميعهم   في أسرها لكن يقيد جمالى
يا وجهها الحاوي لبهجة روضة   أنواره أنت العـزيز الغـالى
إذ فيك كل عجيبه ما بين تفا   ح وورد يـانع ولآلى
والشهد والخمر والحلال وقرقف   مع برده يسلي ولست بسالى
يا جفنها الغزال كم من عاشق   بك في المحبة مثل شن بالى
عجباً تميت العـاشقين ونحن لم   نعرف سوى الأحياء للغزالى

(وقلت)

وسالبة بالحسن عقل ذوي النهي   لطلعتها أسني الدراريء آفل

إذا ما تجلت دك طـور قلوبهم وخروا الى الاذقان والعقل زائل
فيا كعبة العشاق هل ثم مطلب سواك إليه تستحث الرواحـل
ويا طلعة أصبحت للحسن جامعا له القلب وقف والتبدل باطـل
عذولي اتئدوا قصرفكل جوارحـي لهاعن سماع الزور والعذل شاغل
إذا ما أطلت اللوم لا بد ينتهي وعند التناهي يقصر المطـاول
لئن لم تزرني أو تمـن بنظرة وينعم دهري بالذي أنا آمـل
فيا موت زران الحيـاة ذميمة ويا نفس جدي ان دهرك هازل

(وقلت)

أفدي فتـاة فتنت مهجتي وقد أذيب القلب من صدهـا
مالي وللدنيـا إذا لم تزر إذ ليس يحلو العيش من بعدهـا
يقول لي الآسي وقد راعـه ما بفؤادي من جوى بعدهـا
خـذ ماء ورد ولسان معا تشرب بالماءين من شهدهـا
قد صدق الآسي هـذا الدوا هو الشفا لو كان من عندها
بان يكون الشهد من ثغرهـا يجني وماء الورد من خدها

(وقلت وفيه نكتة حكمية)

نار بوجنتك التي حرق الورى منها كنار في فؤاد مسعره
لكن يقول الفيلسوف الحرّ ان افني الرطوبه محرق ما اضمره
فلذاك احرق مهجتي تصعيد ما قطرته اجفاني وخدك حمره
إذ فيه ماء حيا لعشاق غدت فيه الحرارة باعتدال مزهره

انتهي ما اردنا ايراده من لطائف الغزل الخاصة والعامة في الذاتيات والاعراض اللازمة وقد تغزل العشاق في الاعراض المفارقة نحو الزينة والوظائف ببديع النكت واللطائف فلنورد منها ما اطف .

(قال بعضهم في النقش)

كانّ خضرة نقش فوق معصمها شباك مسك على كف من البرد

فمن ملا مقلتيه من محاسنها كان الأمان لعينيه من الرمد

(ابن المعتز في الحناء)

اشرن على خوف باغصان فضة مفوفة أثمارهن عقيق
سلام كاسقاط الندى تحت ليلة سرى حيث لم يعلم إليه طريق

(ابن نباتة)

خضبت باحمر كالنضار معاصماً كالماء فيه رونق وصفاء
واهالهن معاصماً مخضوبة سال النضار بها وقام الماء

(. الشريف المقدسي)

تقمعت بسويدا قلب عاشقها أنامل بدم العشاق تختضب
في كل أنملة ليل به شفق كأنه اليسر في أطرافه الرطب

(الشوّاء)

محبة لها خال كمسك على خد أشف من الزجاج
بدت والنقش يحكي في يديها محزم آبنوس فوق عاج

(علي بن العباس الرومي)

سقى الله قصراً بالرصافة شاقني باعلاه قصري الدّلال رصافي
أشار بقضبان من الدر قمعت يواقيت حمرا تستبيح عفافي

(الصنوبري)

بسطت أنامل لؤلؤ أطرافها فيها تطاريف من المرجان
وتقنعت لك بالدجى فوق الضحى وتنقبت بشقائق النعمان

(محمد بن عياض)

علقتها فتانة أعطافها تزري بغصن البانة المياد
من للغزالة والغزال بحسنها في الخد أو في العين أو في الهادي

خضبت أناملها السواد وقلما أبصرت أقلا ما بغير مداد

(ابن الوردي)

مصرية كأنها بدر فجل من خلق
تملقت مكراً ولا ينكرمن مصرالملق

(وله أيضاً)

يا ليتني حاشية زركشت يوماً بكفي هذه الجارية
قد أصبحت في الحسن سلطانة تفرّق التبر على الحاشيه

(وله أيضاً)

عوّادة عوّادة بالنغم الملذذ
قالت لنا أوتارها أنطقنا الله الذي

(الشهاب الحجازي)

في ثوبها الخمريّ قد أقبلت بوجنة حمراء كالجمر
فملت سكرا حين أبصرتها لاتنكرواسكري من الخمر

(ابن تميم)

جاءت بعود كلما لعبت به لعبت بي الأشجان والتبريح
غنت فجاوبها ولم يك قبلها شجر الأراك مع الحمام ينوح

(الصلاح الصفدي)

أتتنا بعود حركته أنامل هي الماء لطفاً في اتباع الاناشيد
يكاد وقد جست ملاويه يكتسي باوراقه لما جرى الماء في العود

(ومما يلحق بهذا الفصل التلميح)

وهو نوع لطيف جليل المقدار في البديع عظيم الفائدة في الايصال الى

المطلوب من نحو نكاية الخصم وبلوغ الأرب من ذوي الفهم ولم تدر الأغبياء وجل علماء المعاني على أن التلميح يرادفه والصحيح انه أخص * فمن طريق ما حكى فيه ان أبا العلاء المعري حضر مجلس الشريف الموسوي فنال من المتنبي وكان أبو العلاء ينتصر له فقال للشريف لو لم يكن من شعره إلا قوله :

لك يا منازل في القلوب منازل

لكفاه فأمر به فسحب على وجهه وعوتب الشريف في ذلك فقال إنما قصد قوله في القصيدة

وإذا أتتك مذمتي من ناقص   فهي الشهادة لي بأني كامل

وأثنى سيف الدولة يوماً على المتنبي فبالغ وكان الرفاء حاضراً فقال أشتهي أن تنتخب قصيدة من كلامه وتأمرني بمعارضتها لتعلم إنك اركبته في غير سرجه فقال بديهة عارض قوله :

لعينك ما يلقي الفؤاد وما لقي

قال الرفاء فتصفحتها فلم أجدها كبير أمر فعلمت أن هناك نكتة فاعلمت الذهن في اخراجها فإذا أتابه قد أراد قوله

إذا شاء أن يلهو بلحية أحمق   أراه غباري ثم قال له الحق

وحكى ان ولادة بنت عبد الرحمن بن الحكم كانت من أظرف نساء زمنها وكان لها بعد أن قعد بها الدهر ولوع بالوزير أبي الوليد فكتبت إليه وقد غضبت منه

ان ابن زيدون على فضله   يلهج بى شتماً ولا ذنب لي
يلحظني شزراً إذا جئته   كأنني جئت لأخصي علي

أشارت بذلك الى عبد للوزير كان متهماً به ودعت أمرأة للرشيد يوماً فقالت أتم الله أمرك وفرّحك بما آتاك وزادك رفعة لقد عدلت فأقسطت

فقال لجلسائه ما أرادت هذه قالوا خيراً فقال انها تدعو عليَّ فان قولها أتم الله أمرك تريد قول الشاعر

إذا تم أمر بدا نقصه ترقب زوالاً إذا قيل تم

وقولها فرّحك الله بما آتاك تريد قوله عز وجل حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة وقولها وزادك رفعة تريد قول الشاعر

ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع

وقولها لقد عدلت فأقسطت تريد قوله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً ثم استقرها فأقرت فقال وما ذنبي إليك قالت قتلت رجالي وأخذت أموالي فقال ممن أنت قالت من بني برمك فقال أما الرجال ففاتوا واما المال فيأتيك ورده إليها * وسأل أحد الظرفاء أمرأة ملفوفة في كساء فقال من أنت قالت أنا السادس في السابع تريد قول ابن سكرة :

جاء الشتاء وعندي من حوائجه سبع إذا القطر عن حاجاتنا حبسا
كن وكيس وكانون وكاس طلا مع الكباب وكس ناعم وكسا

ومثله ما حكاه ابن الجوزي قال التقى رجل وامرأة على جسر بغداد فقال الرجل رحم الله ابن الجهم فقالت المرأة رحم الله أبا العلاء المعري وافترقا فتبعها رجل فقال لها أقسمت عليك الا اما اخبرتني ما أراد وأرادت فقالت أراد بابن الجهم قوله

عيون المهابين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدري

وأردت بقولي أبا العلاء قوله

فيا دارها بالخيف ان مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال

ومن دقيق الاشارات ان المتنبي مدح بعض اعداء ملكه فغضب عليه وهمّ ان يفتك به فهرب فأمر الملك بعد مدة كاتبه ان يلطف له القول ليأتي

فيخدعه وكان الكاتب يحب المتنبي ولم تسعه المخالفة فكتب في آخر الكتاب قد عفونا ان شاء الله وشدد النون فلما وقف عليه رحل وأرسل الى الكاتب الكتاب وقد زاد ألفاً بعد النون المشددة وهذه من ألطف الاشارات فان الكاتب اراد بان قوله تعالى ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين وأراد المتنبي بزيادة الألف قوله تعالى أنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها

(ومما ينسج في هذا النمط ما سمته العرب بالملاحن)

قال العلامة السيوطي عن ابن دريد انه مشتق من اللحن يعني الفطنة وان فائدتها التخلص من انشوطة التعسف مع الأمن من المؤاخذة عند الألجاء (قيل) أسر شخص من تميم عند بكر بن وائل أو سعد بن ضبيعة وعزموا على غزو قومه فطلب من يرسله الى أهله لحاجة فقالوا ليكن بحضرتنا لئلا تنفرهم قال لكم ذلك فجاؤه بولد فقال أخاف أن يكون أحمق فقال الرسول ما أنا احمق واني لمبلغ ما تقول فقبض من الرمل قبضة فقال له كم هذه قال لا أدري وانها كثيرة فقال له النيران اكبر أم الكواكب قال الكواكب وكل كبير فأومأ الى الشمس فقال ما هذه قال الشمس فقال انك عاقل بلغ قومي التحية وأن يكرموا الأسير فان قومه يكرمونني وأن يعروا ناقتي الحمراء فقد أطالوا ركوبها ويركبوا جملي الأصهب وقل لهم قد ار بي العرفج واشتكت النساء بآية ما أكلت معكم الحيس وأسألوا الحرث عن خبري فلما وقفوا على الكلام وقد قالوا جن الأعور بعدنا إذ لم نعرف له ناقة ولا جمل وصرفوا الرسول ودعوا الحرث فلما قصوا عليه القول قال انذركم فقوله أكرموا الأسير يعني استكثروا من الزاد ومن علف الدواب وتهيؤا للرحيل فانهم عازمون على أن يدهموكم بخيل ورجل والرمل عدد القوم الذين يغزونكم منهم وان ذلك واضح كالشمس والناقة الحمراء الدهناء والجمل الأصهب الصعان يقول اعدلوا عن السهل الى الجبل وأربى العرفج يعني لبس الرجال السلاح وأشتكت النساء حملت الشكاء وهي قرب صغار يحمل فيها المسافرون الماء والحيس كناية عن اخلاط الرجال فعملوا بقوله فنجوا (ومن ذلك) أمثلة ينتفع بها في التوبة عند الحاجة

كقولك ما سألت فلاناً حاجة ضربا من شجر شائك ولا رأيته أي ضربت
رئته ولا كلمته أي جرحته ولا أعلمته أي شققت شفته العليا ولا أخذت له
شعيرة أي رأس مسمار فضة ولا ثوباً أي قطعة من أقط ولا كسرت له سناً
أي قطعة عشب ولا ضرصاً أي قطعةمن المطر ولا لبست له جبة شيء يستر
به السنان ولا أخذت له حماراً ولا اتاناً صخرتان معروفتان ولا عنزة اكمة
سوداء ولا دجاجة كبة من غزل ولا فروجاً مدرعة ولا جحشة صوف كالحلقة
ولا ظلمته أي ما سقيته لبناً ولا جلست له على حصير لحمة في جنب الفرس
ولا أخذت له جراباً ما حول البئر ولا بيضة يعني الخودة ولا فرخاً هامة
الدماغ ولا فروة جلدة الرأس ولا إبرة عظم المرفق ولا فأساً عظم القفا ولا
كتبت جمعت ولالى هنا خط سيف البحر ولا وطئت له أرضا باطن حافر
الفرس ولا لعبت سال لعابي ولا رويت الحديث شددته بالرواء وهل الحبل ولا
رأيت بطناً ولا فخذاً قبائل ولا ساقا ذكر الحمام ولا رجلاً قطعة الجراد ولا
وجها أي قصدا ولا أبصرته أي رأيت قشراً على الجلد

(خاتمـــة)

تشتمل على لطائف متفرقة تروق بالمسامع وتزين بها المجـامع (حكى ولد الفرزدق) قال اجتمع أبي وجميل وجرير وكثير ونصيب بالموسم فقال بعضهم لبعض لا تجتمعون مثل هذه فهلموا نفعل شيأ نذكر به في الزمان فقال جرير هل لكم أن نسلم على سكينة بنت الحسين فلعلها أن تكون سبباً لما أردتم فقالوا نعم الرأي وانطلقوا فطرقوا الباب فخرجت جارية ظريفة فبلغها كل السلام فدخلت ثم عادت فقالت أيكم القائل

سرت الهموم فبتن غير نيام — واخـــوا الهموم يروم كل مرام
درست معالمهـــا الرواسم بعدنا — وسجال كل مجلجل سجـــام
ذم المنازل بعـــد منزلة اللوى — والعيش بعد أولئـــك الأيام
طرقتك صائدة القلوب وليس ذا — حـين الزيارة فـارجعي بسلام
يجري السواك على أغر كأنــه — برد تحدر من متون غمام
لو كنت صادقة بما حدثتنا — لوصلت ذاك وكان غير تمام

قال جرير أنا قلته قـالت فما أحسنت ولا أجملت ولا صنعت صنع الحر الكريم لاستر الله عليك كما هتكت سترك وسترها ما أنت بـكلف ولا شريف حين رددتها وقد تجشمت اليك هول الليل هلا قلت

طرقتك صائدة القلوب فمرحباً — نفسي فداؤك فادخلي بسلام

خذ هذه الخمسمائة درهم فاستعن بها في سفرك ثم انصرفت الى مولاتها وقد افحمتنا وكل من الباقين يتوقع ما يخجله ثم خرجت فقالت ايكم القائل

الا حبذا البيت الذي انا هاجره — فـــلا أنا ناسيه ولا انا ذاكره

فبورك من بيت وطال نعيمـــه ولا زال مغشياً وخلد عـــامره
هو البيت بيت الطول والفضل دائماً واسعد ربي جد من هو حـاذره
به كل موشيّ الذراعـين يرتمي أصول الخزامى مـا ينفر طائره
هما دلياني من ثمانـــين قامـــة كما أنقض باز أقتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاي في الأرض قالتا أحي يرجى أم قتيل نحـــاذره
فاصبحت في أهلي وأصبح قصرها مغلقة أبوابـــه ودساكره

قال أبي يعني الفرزدق أنا قلته فقالت وما وفقت ولا أصبت أما ايست بتعريضك من عودة صدق محمودة خذ هذه الستمائه درهم فاستعن بها ثم انصرفت الى مولاتها ثم عادت فقالت أيكم القائل

فلولا أن يقال صبا نصيب لقلت بنفسي النشأ الصغار
بنفسي كل مهضوم حشاها إذا ظلمت فليس لها انتصار

فقال نصيب أنا قلته فقالت أغزلت وأحسنت ولا كرمت لأنك صبوت الى الصغار وتركت الناهضات باحمالها خذ هذه السبعمائة درهم فاستعن بها ثم انصرفت الى مولاتها ثم عادت فقالت أيكم القائل

وأعجبني يا عز منك خلائق كرام إذا عد الخلائق أربع
دنوك حتى يذكر الجاهل الصبا ومدك أسباب الهوى حين يطمع
وانك لا تدري غريماً مطلته أيشتد ان لاقاك أو يتضرع
وانك ان واصلت أعلمت بالذي لديك فلم يوجد لك الدهر مطمع

قال كثير أنا قلته قالت أغزلت وأحسنت خذ هذه الثمانمائة درهم فاستعن بها ثم انصرفت الى مولاتها ثم خرجت فقالت أيكم القائل

لكل حديث بينهن بشاشة وكل قتيل بينهن شهيد
يقولون جاهد يا جميل بغزوة وأيّ جهاد غيرهن أريد
وأفضل أيامي وأفضل مشهدي إذا هيج بي يوماً وهن قعود

فقال جميل أنا قلته قالت أغزلت وأحسنت وكرمت وعففت أدخل فلما

دخلت سلمت فقالت سكينة أنت الذي جعلت قتيلنا شهيداً وحديثنا بشاشة وأفضل أيامك يوم تذب عنا وتدافع ولم تتعد ذلك الى قبيح خذ هذه الاف درهم وابسط لنا العذر أنت أشعرهم وهذه الحكاية هي التي سبقت الاشارة اليها في فصل الخيال من الباب الخامس

واجتمع كثير وجميل وعمر بن أبي ربيعة عند عبد الملك فقال أنشدوني أرق بيت قلتم فانشد جميل

حلفت يميناً يا بثينة صادقـــا فان كنت فيها كاذبـــاً فعميت
فلو ان جلداً غير جـلدك مسني وباشرني دون الشعـــار شريت
ولو ان راقي الموت يرقي جنازتي بمنطقها في الناطقين حييت

(وانشد كثير)

بأبي وأمي أنت من مظلومة طبن العدوّ لها فغير حالها
لو أن عزة خاصمت شمس الضحى في الحسن عند موفق لقضى لها
وسعى الى بصرم عزة نسوة جعل المليك خدودهن نقالها

(وأنشد أبن أبي ربيعة)

الا ليت قبري يوم تقضي منيتي بتلك التي من بين عينيك والفم
وليت طهوري كان ريقك كله وليت حنوطي من مشائك والدم
الا ليت أم الفضل كانت قرينتي هنا او هنا في جنة أو جهنم

فقال أعط صاحب جهنم عشرة آلاف درهم * وسمع الحسن جارية تنشد وهي طائفة بالبيت

لا يقبل الله من معشوقة عملاً يوماً وعاشقها غضبان مهجور
وليس يأجرها في قتل عاشقها لكن عاشقها في ذاك مأجور

فقال لها افي هذا المكان يقال هذا قالت ألست ظريفاً قال بلى قالت هل تروي الشعر قال نعم قالت أما سمعت قولهم

بيض غرائر ما همهن بريبة كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام زوانيا ويصدهن عن الخنا الاسلام

واستحضر الرشيد الرقاشي ومصعبا وأبا نواس فقال أجيزوا * كلام الليل يمحوه النهار * البيت الذي قالته الجارية التي لقيها بعد غضبه عليها فسألها الوصل فوعدته الى وقت فلما جاء أنشدته المصراع المذكور فقال الرقاشي ومصعب أبياتاً لم تناسب المقام وأنشد أبو نواس

وليلة أقبلت في القصر سكرى ولكن زين السكر الوقـــار
وقد سقط الردا عن منكبيهـا من التخميش وانحـــل الازار
وهز الريح أردافـاً ثقـــالا وغصناً فيه رمان صغـــار
فقلت الوعـــد سيدتي فقالت كلام الليـل يمحوه النهـــار

فقال له كأنك كنت حاضراً معنا وأمر له بعشرة آلاف درهم ولكـل من الآخرين بخمسة * وأرق الرشيد ليلة فقام يمشي في المقاصير فرأى جاريـة لطيفة الشكل بديعة المنظر فأيقظها فقالت وقد علمت به (يا أمين الله ما هذا الخبر) فقال

هو ضيف طـــارق حكيم يرتجي المـأوى الى وقت السحر

(فقالت)

بسرور سيدي اخدمـه ان رضي بي وبسمعي والبصر

فلما اصبح أحضر أبا نواس وقال له اجز (يا امين الله ما هـذا الخبر) فأنشد

طال ليلي حـين وافـــاني السهر فتفكرت فاحسنت الفكر
قمت أمشي في مكاني ساعة ثم أخرى في مقـاصـير الحجر
واذا وجـه جميل حسن زانه الرحمن من بين البشر
فلمست الرجـــل منها موقظاً فرنت نحوي ومدت لي البصر

وأشارت وهي لي قائلة يا أمين الله ما هذا الخبر
قلت ضيف طارق حكيم يرتجي المأوى الى وقت السحر
فاجابت بسرور سيدي أخدم الضيف بسمعي والبصر

فقال له أكنت معنا قال لا ولكن ألجاني الشعر إلى ذلك فاحسن صلته

* *

(فصل في النوادر والحكم)

* نادرة *

قال أسحق غنيت الرشيد ليلة حتى نام فجلست انتظر انتباهه والعود في يدي وإذا بشاب على أجمل ما يكون من الهيآت قد دخل علي فأصلح العود بعد ما شرب وأنشد

ألا غنيا لي قبل ان نتفرقا وهات اسقني صرفا شرابا مروقا
فقد كادضوء الصبح ان يفضح الدجى وكاد قميص الليل ان يتمزقا

ثم قال هكذا غن الخلفاء وغاب وقد ذهب عقلي من حسن غنائه فلما أفاق الرشيد قصصت عليه القصة وغنيته الصوت فأحسن صلتي وقال ليته متعنا بغنائه ولم يرنا شخصة قال أسحق فذكرت بهذه ما حكاه لي أبي انه استوهب الخليفة يوما يخلو به مع أهله فوهبه السبت لأنه كان يستثقله فخلا ابراهيم يوماً وقد زين بيته وحرمه واتقن طعاما وشرابا وأوصى بحفظ الأبواب خوفاًمن أحد يدخل فبينما هوجالس على أحسن ما يكون اذا بشيخ عليه قلنسوة وثياب ناعمة وبيده عكازة وقد عبقت رائحة الطيب منه فسلم بلطف ثم جلس قال ابراهيم فكدت أقضي فروضت نفسي فذاكرني الأدب وأيام العرب حتى ظننت أن غلماني حيوني به لما رأوا من ظرفه ثم قال بعدما أبى من الطعام وأخذ شيئاً من الشراب هل لك أن تغني شيئاً مما الفت به فتشجمت المشقة وغنيت فقال أحسنت يا ابراهيم فزاد غضبي ثم استأذنني في الغناء فأذنت له

متعجباً من تجرية بحضرتي فأصلح العود وأنشد

ولي كبد مقروحة من يبيعني بها عبداً ليست بذات قروح
أباها على الناس أن يشترونها ومن يشتري ذا علة بصحيح
أئن من الشوق الذي في جوانحي أنين غصيص بالشراب جريح

(ثم غير الصوت وغنى)

الا يا حمامات اللوى عدن عودة فاني الى أصواتكن حزين
فعدن فلما عدن كدت يمتنني وكدت باسراري لهن أبين
دعون بترداد الهدير كأنما شربن حميا أو بهن جنون
فلم ترعيني مثلهن حمائما بكين ولم تدمع لهن عيون

فوالله ما سمعت بأحسن منه ولقد خلت ان العود والجدار ينطلقان معه ثم غاب فخرجت مغضباً وسألت عن الشيخ فقالوا نعيذك بالله لم يدخل أحد فرجعت واذا بهاتف من جانب البيت يقول لا بأس عليك ما كان ضيفك إلا ابليس فركبت الى الرشيد فحدثته بالقصة وأخبرته ان الشيخ اخبرني اني أحكمت الغناء وغنيته كما سمعت فأحسن صلتي (وحكي) عنه في الأصل ايضاً وفي غيره عن ولده اسحق قال أصبحت في يوم مطير ايقنت فيه ان لا يأتيني أحد فصنعت لنفسي ما شئت من طعام وشراب وجلست في سرور حتى ولي النهار فذكرت جارية أهواها فقلت لو كانت عندي لكمل سروري فما أكملت القول حتى جاءني غلام فقال فلانة بالباب فوثبت لم أملك نفسي فاذا بفرس التمني قد أثمر فاعتنقتها وقد بلها المطر فخلعت ما عليها وألبستها بدلة تليق بها وجئت بماء ساخن وغسلت رجليها بيدي وقلت ما الذي جاء بك في هذا الوقت قالت جاءني رسولك مرتين يخبرني انك تشكو الحرقة فكرهت ان أقول ما أرسلت أحدا فجلست وأخذت العود فغنيت

توسدها كفي وبت ضجيعها وقلت لليلي طل فقد رقد الفجر
بوجه إذا ما غاب عني حكاه لي وان لم يكن في حسن صورته البدر

فلما أضاء الصبح فرق بيننا وأي نعيم لا يكدره الدهـــر

فبينما نحن كذلك دخل علينا شيخ حسن الهيئة فجلس معنـا فقالت هذا رسولك إلي فأنكرت إذ لم أعرفه وعجبت من دخوله لأن المفاتيح عندي هكذا في الأصل وفي غيره ان الجارية حين استقر بها الجلوس قالت أريد من يغني قال اسحق أنا قالت لا أنت ولا أنا ولكن اخرج فالتمس لنا أحداً فخرجت لنا طاعة لها فاذا أنا بشيخ أعمى وهو يقول لاجزي الله من كنت عندهم خيراً ان غنيت لم يسمعوني وان سكتّ استخفوا بي فقلت له هل تكون عندنا ليلتك فقال خذ بيدي ان شئت . فلما دخلنا وجلس قال لي غنّ فحين غنيت قال قاربت ان تكون مغنيـاً فكدت ان اموت ثم سأل الجارية فغنت فقال ما جئت بشيء . فقالت هذا ما عندنا فهات ما عندك فطلب عوداً جديداً فأصلحه وكانت الجارية حين طرق الباب قالت:

أيدخل محبوب على الباب واقف

فأنشد الشيخ

سرى يخبط الظلماء والليل عاكف حبيب بأوقات الزيارة عارف
وما راعني إلا السلام وقولها أيدخل محبوب على الباب واقف

فحين سمعت ذلك الجارية قالت قد ضاق صدرك بكلمة فلم أزل أترضاها وأحلف اني لم أقل واتقرب اليها بالتقبيل ودعدعة الثديين حتى ضحكت

فغنى الشيخ

ألا ربما زرت الملاح وطالما لمسكت بكفي البنان المخضبا
ودغدغت رمان الصدور ولم أزل أعضعض تفاح الخدود المكتبا

فقلت لها أنا أعلمته بذلك فاطمأنت ثم قام الى الخلاء وأبطأ فطلبناه فلم نجده فعلمت أنه أبو مرة فتمثلت بقول أبي نواس

عجبت من إبليس في كبره وخبث ما أظهر من نيته
أبى على آدم في سجدة وصار قوّاداً لذريتــــه

قال بعض الأدباء

كان أبو نواس أول من فتح هذا الباب على إبليس فكثرت فيه الأقــوال من الشعراء

×××

* لطيفة ووصية *

قال بعض الحكماء لولده ونقله في الأحياء لا تتزوج حنانة يعني الى ولدها الذي من الزوج السابق ولا منانة يعني ذات المال التي تعطي الزوج شيئاً ثم تمن به عليه ولا أنانة يعني زوجها الأول وعليها نقل في تحفة العروس ان الغدور بنت قيس بن خالد لما تزوج بها عمرو بن الجون بعد لقيـــط بن زراره لم تزل تظهر الأسف على لقيط فحنق عمرو وقال لها : ويلك انه لم يجيء من بعض عبيدي فصفى لي بعضما رأيت من حسنه قالت تطيب يوماً وجلس يتناول الشراب ولم يوقظني شفقة حتى انتبهت فأركبني وخرج الى الصيد والزهو فلاحت غابة فيها أسدان فشدّ حتى قتل واحداً ورجـــع إليّ فضمني ضمة وددت لو مت فيها ففعل عمرو ذلك وضمها . قال أين أنا من لقيـــط . فقالت ماء ولا كصداء ومرعى ولا كالسعدان وهو مثل سبق تقريره

وعن بعضهم كن فوق المرأة بالسن والمال والحسب وإلا احتقرتك ولتكن هي فوقك بالصبر والجمال والآداب والا احتقرتها

عجيبة

قيل أعظم الولائم الإسلامية اثنتان إحداهـــا وليمة زفاف الرشيد على زبيدة كانت الهبات فيها غير محصورة حتى أنهم كانوا يهبـــون أواني الذهب مملوءة بالفضة وأواني الفضة مملوءة بالدنانير ونوافج المسك وقطع العنبر وجليت في درع من الدر لم يقدر أحد على تقويمه وضبط ما خرج فكان خمساً وخمسين ألف الف وثانيتها وليمة بوران على المأمون فرش فيها حصير منسوج بالذهب

ونثر عليها من اللالي ما أغنى خلقاً كثيراً قال شارح المقامات تقرر ما خرج من بيت المال فكان أربعين الف الف وقال غيره عن زبيدة سبعة وثلاثين وأوقد فيها شمعة من العنبر زنتها ثمانون رطلاً وكتب رقاعاً باسماء ضيع ورساتيق وصلات وجعلها في بنادق المسك في النثار فكان الذي يلتقط شيئاً منها يحبس عليه وقيل كان الحطب الذي أوقد فيها قد نقل بأربعة آلاف بغل اربعة أشهر فلم يكف حتى أوقد المكان .

فائدة

في الحديث الشريف عن النبي ﷺ ثلاث من العجز في الرجل ان يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل ان يعرف اسمه وان يكرمه أخوه فيرد عليه كرامته وان يقارب المرأة فيصيبها قبل أن يحادثها ويؤانسها فيقضي حاجته منها قبل ان تقضي حاجتها منه وبهذا وافقت الحكمة السنة فإن أبقراط يقول أكثر آفات قلة الولادة من عدم الموافقة فمن لم يدركها بالمعرفة فعليه بالملاعبة ويكره الجماع في المحاق وأول الشهر ما عدا رمضان قبل وليلة النصف

* *

* لطيفة ووصية *

قال بعض الحكماء خير النساء ما عفت وكفت ورضيت باليسير واكثرت التزين ولم تظهره لسوى زوجها وخير الرجال الذي لم يكل المرأة الى طلب شيء ولم يعصها في الخلوة ولم يطعها في شهوة قال بعض من شرح هذا الكلام المراد بعفت يعني حصنت الزوج من حسنها ان يطمح الى غيرها وكفت لسانها عن الأذى وبالتزين مطلق التلطف ولو بالكلام المضحك المطفىء للغضب فإن غاية النساء السكون اليهن من الوصب وبقوله لم يطعها في الشهوة يعني المفضية الى تبذلها كالخروج ورفع الصوت لا فيما تشتهيه من مأكل وملبس فإن قطع ذلك عنها إعانة لها على الفساد وزاد بعضهم ان لا يذكر الرجل محاسن المرأة لإحد فان ذلك يؤول الى نزعها منه وعليّ ذكر التحبب ولو بالكلام نقل ابن الجوزي عن بعضهم . قال قلت لجاريتي ألا تلبسين الحلى قالت لا لأنه يستر المحاسن كما يستر القبائح وقلت لها اجلسي بنا في القمر فقالت: ما أولعك بالجمع بين الضرائر وكسفت الشمس يوماً فقالت : ما كسفت الاحياء مني

لطيفة

اللذات أربع لذة ساعة وهي الجماع ، ولذة يوم وهي الحمام ، ولذة جمعة وهي النورة ، ولذة حول وهي تزويج البكر .

نادرة

جاءت امرأة الى عمر فقالت يا أمير المؤمنين ان زوجي يصوم النهار

ويقوم الليل وكررت ذلك وعمر يقول كل مرة جزاكِ الله خيراً من مثنية على بعلها فقال كعب انها يا أمير المؤمنين تطلبه بحق الفراش فقال : حيث فهمت ذلك فاقض بينهما فأحضر الزوج وقال : ان امرأتك تشكو فقال لم أقصر في شيء فأنشدت

يا أيها القاضي الحكيم رشده	ألهى خليلي عن فراشي مسجده
نهاره وليله ما يريــــده	فلست في حكم النساء أحمده
زهـــده في مضجعي تعبده	فاقض القضايا كعب لا تردده

فقال زوجها

زهدني في فرشها وفي الحجل	اني امرؤ أذهلني ما قد نزل
في سورة النمل وفي السبع الطول	وفي كتاب الله تخويف جلل

فقال كعب

ان لها حقاً عليك يا رجل	تصيبها في أربع لمن عقــل
قضية من ربنـــا عز وجلّ	فأعطها ذاك ودع عنك العلل
فإن خير القاضين من عدل	وقد قضى بالحق جهراً وفصل

ثم قال له الله قد أحل لك أربع نساء فاجعل لها ليـلة من أربـع . فقال عمر رضي الله عنه لا أدري من حلمك أم من فهمك وولاه البصرة .

وصية

قيل كانت العرب توصي بناتها بما يوجب الألفة فتقول للواحدة كوني له أرضاً يكن لك سماء وكوني مهاداً يكن عماداً وأمة يكن عبداً وفراشا يكن معاشاً ولا تقربي فيملك ولا تبعدي فينساك ولا تعاصيه شهوتـــه وعليك بالنظافة ولا يرى منك إلا حسناً ولا يشم إلا طيباً ولا يسمع إلا ما يرضى

ولا تفشي سره فتسقطي من عينه ولا تفرحي إذا غضب ولا تغضبي اذا فرح.

لطيفة

قال أبو العلاء أغزل بيت قول الأعشى

غراء فرعاء مصقول عوارضها   تمشي الهوينا كما يمشي الوني الرجل

وأشجع بيت قوله

قالوا الطعان فقلت الكل عادتنا   أو تنزلون فأنا معشر نزل

(أخرى)

قيل تزوج اليزيد بن عبد الملك بالحرباء فحين زفت اليه دخلت القهرمانة لتصلح من شأنها فلطمتها وأسالت دمها فقالت له: أترسلني الى مجنونة فدخل عليها فقال: لأي شيء فعلت بالمرأة ما فعلت. قالت أحببت ان لا ينظرني غيرك فان رأيت حسناً كنت أول من نشره أو قبيحاً كنت أول من ستره فعظمت عنده .

نادرة

قيل جلس المنصور في قصره وقت ظهيرة فأشرف على رجل يتردد في الطريق وعليه إمارة الكرب فأحضره وسأله عن حاله فقال يا أمير المؤمنين أنا تاجر أملك الف دينار وقد أحضرتها بالأمس الى زوجتي وطلبتها اليوم فلم تجدها فقال هل تعلم على امرأتك شيئاً قال لا فاستدعى الخليفة بقارورة طيب كان يُصنع له بالخصوص فدفعها الى الرجل وقال له اجعلها عند

زوجتك واعلمها اني حبوتك بها وعاودني ففعل وأمـــر المنصور حراس الأبواب أن يأتوه بمن يشمون منه رائحة هذا الطيب فما كان بأقرب من ان جاؤوه بشخص فهدده وقال لئن لم تأتني بالألف دينـار التي أخذتها من موضع كذا لاضربن عنقك فجاء بها وأحضر الخليفة التاجر وقـــال له: هذا مالك قال نعم وقبل الأرض فدفعه له وحكمه في زوجته



(فصل في المجون)

قيل حضرت سوق عكاظ امرأة بنحبين اعني ظرفين من عسل فاتاهـا خوات بن جبير وكان فاتكاً في الجاهلية فحل أحدهما وذاقه واعاده فمسكته بإحدى يديها وفعل بالآخر كذلك ثم أمسك رجليها وقضى وطره فحين فرغ قالت لأهنئت قال بل هنئت وأنشد .

وشدت على النحيين كفى ضنينة　　واعجلتها والفتك من فعــلاتي

وبها ضرب المثل فقالوا اشغل من ذات النحيين واظلم من خوّات (قـال الاصمعي) بينا نحن بطريق مكـة إذا باعرابي يقول من أحس من بعير بعنقه علاط وبانفه خزامة يتبعه بكرتان سمراوان عهد العاهد به عند البئر فقالت جويرية على حوض اعزب يا فاسق لا ارد الله عليك ضالتك فقلنا مالك ولمن ينشد ضالته قالت إنما ينشد ... قوله علاط بالمهملة حبل يجعل في عنق البعير وسمراوان يريد اللون المعروف ويحتمل انه تثنية سمراء يعني الناقة * وجيء لأبن أبي مساحق بابن اخته وقد احبل جارية فقال له هبك ابتليت بالفاحشة فهلا عزلت فقال جعلت فداءك بلغني ان العزل مكروه فقال وما بلغك أن الزنا حرام * وكان بمكة رجل تجتمع الرجال والنساء عنـده للفساد فشكوه فنفاه الوالي الى عرفات فقال لأصحابه يوماً ما يمنعكم ان تأتوا إليّ على العادة فقالوا كيف لنا بذلك فقال حمار بدرهمين وقد صرتم الى الأمن والنزهة فقالوا صدقت وفعلوا فعاد امره أعظم فرفعوه الى الوالي فقال ألم انهك فقال اصلحك الله انهم يكذبون عليّ فقالوا للوالي اجمع حمير مكة وأرسلها فان لم تأت بيته فنحن كاذبون عليه ففعل فمضوا الى بيته فجرده ليضرب به فقـال أو ضار بي

أنت قال نعم فقال أفعل فوالله ما بي الا قول أهل العراق ان أهل مكة يحكمون بشهادة الحمير فضحك وخلى سبيله (وفي منازل الأحباب) قال غلام جئت حياً قد أزمعوا الرحيل وأمرأة على أحسن ما يكون من الحسن والهيئة والثياب قد تخلفت تهيء أمرها فما جئتها يسيراً فقالت أيما أحسن عارياً الرجل أم المرأة فقلت الرجل قالت بل المرأة وان شئت علمت ذلك بان اتجرد وامشي الى تلك الأكمة وأعود وتعاهدني ان تفعل كذلك فعاهدتها وكنت حين بقل وجهي وأنا على أجمل ما يكون فتجردت عن محاسن تسر القلب وتملأ العين وتمشت كما ذكرت وعادت وسألتني الوفاء ففعلت فلم أمش المسافة حتى تدرعت ثيابي واعتقلت سيفي واستوت على جملي ومضت فلم أجد حيلة إلا أخذ ثيابها وجملها كذلك فكنت استحي ان الحق القوم وهم يصرخون عليّ حتى جاءت جارية فجذبت زمام البعير حتى أوصلتني اليهم فجاءت أمها فقالت أي بنية كم اتعبتنا في هذه الليلة وأدخلتني الستر فلما عرفوني واستخبروني عن القصة اخبرتهم بها فقالت لي أمها انها ذهبت الى صاحب لها وهذا وقت زفافها على رجل به لوثة تعني خبالا في عقله فهل لك أن تكون مكانها ساعة ولك عندي اليد البيضاء فأجبت الى ذلك فحين دخلت عليه ما نعته ساعة وأتت المرأة فخرجت * اشترى بعضهم عجلاً فكان كلما ركبه يصرعه وهو يحسبه مهراً حتى نجمت قرناه * وفي الحلية عن الشافعي قال قيل للحطيئة وقد حضرته الوفاة بم توصي للمساكين قال بالمسئلة قيل في مالك قال للذكور دون الاناث فقالوا ما قال الله هذا فقال لكني أقوله ثم احملوني على حمار فانه لم يمت عليه كريم * وتزوج رجل اسمه حمار بامرأة من ولد دارا فاعجب بها فأمرته بتغيير اسمه فسمى نفسه بغلاً فقالت هو خير لكنك لم تخرج من الأصطبل بعد وأتى كفيف نخاساً فقال له أطلب لي حماراً ليس بالصغير المحتقر ولا الكبير المشتهر ان خلي الطريق تدفق وان كثر الزحام ترفق لا يصادم بي السواري ولا يدخلني تحت البواري أن أقللت علفه صبر وان أكثرته شكر وان ركبته هام وان ركبه غيري نام فقال له النخاس اصبر فان مسخ الله القاضي حماراً قضيت حاجتك × وشدد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في

النهي عن المعاصي كشرب الخمر فقال لصاحبي عسسه وخبره إذا رأيتما سكران فأتياني به فطافا الى آخر الليل فإذا هما بشيخ حسن الهيئه بهي المنظر قد أخذ منه السكر وهو يقول

سقوني وقالوا الا تغني ولو سقوا جبـــال حنين ما سقوني لغنت

فقالا له أما تستحي وأنت بهذه الحالة فقال ارفقا بي فقد شربت مـــع أخوان احداث فحين أخذ الشراب مني أخرجوني فقال لصاحب الخـبر اكتم عليّ وأنا أطلقه قال قد فعلت فقال له أذهب يا شيخ ولا تعد قـال نعم وأنا تائب فلما كان في الليلة الآتية رأياه كما ذكر وهو يغني

إنما هيــج البــلى حين عض السفرجـــلا
فرماني وقـــال لي كـــن بعيني مبتـــلى
ولقد قام لحظـــه لي على القلب بالقـــلى

فقال له أين التوبة فقال ان أخواني الذين ذكرتهم لكما البارحـة عدوا عليّ وحلفوا ان لا يخرجوني إذا عمل بي الشراب فغلب عليّ وعليهم فخرجت فاطلقاة فلما كان الثالثة رأياه على تلك الحالة وهو يغني

أرض عني فطالمـــا قد سخطت أنت ما زلت جافياً مذ عرفت
أنت ما زلت قاطعـاً لا وصولاً بل بهذا فدتـــك نفسي ألفت
ما كذا تفعل الكرام بنوالنـــا س باحبابهم فـــلم كنت أنت

فقالا له هذه ثالثة ولا عفو فقال أخطأتما قالا ولم ذلك قال رسول الله ﷺ من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين ليلة فان تاب تاب الله عليه فان شربها الثانية لم تقبل له صلاة أربعين ليلة فان تاب تاب الله عليه فان شربها الثالثـة لم تقبل له صلاة أربعين ليلة فان تاب تاب الله عليه فان شربها الرابعـة لم تقبل صلاة أربعين ليلة فان تاب لم يتب الله عليه وكان حقاً على الله ان يسقيـه من طينة الخبال وهي عصارة أهل النار فقالا له اذهب فلما كانت الرابعـة رأياه على الحكم وهو ينشد

قد كنت أبكي وما حنت لهم أبل ... فما أقول إذا ما حمـــل الثقل
كأنني بك نضو الأحراك بـــه ... تدعي وأنت عن الداعين مشتغل
فقلوبك بايديهم هناك وقـــد ... سارت باحمالك المهربة الذلـــل
حتى إذا استيأسوا من ان تجيبهم ... عضوا عليك وقالوا قدقضى الرجل

فقال له لم يبق عفو فقال افعلا ما بدا لكما فحملاه الى عمر فاستنكهـه فوجد الرائحة فحبسه حتى أفاق وجلده ثمانين ثم قال له لا تعد فقال قـــد ظلمتني يا أمير المؤمنين لأني عبد وقد جلدتني حد الأحرار فقال أخطأت إذ لم تعرفني وغم عمر فقال له الشيخ لا تحزن يا أمير المؤمنين واجعل الأربعـين سلفاً عندك فضحك حتى استلقى على ظهره ثم قـــال لصاحب العسس إذا رأيت مثل هذا فارفعه اليّ واجتمع قوم عند بصيص جارية ابن نفيس وكانت اعجوبة وقتها في الحسن والغناء يتمنى كل أحد رؤيتها ولو بذهـــاب نفسه فتذاكروا بخل مزيد فقالت أنا آخذ منه درهماً فقال مولاها ان فعلت جعلتك حرة وكسوتك ثوب وشى وأولمت لك يوماً بالعقيق فقالت أرفع الغيرة فقال ولو رفع رجليك لم أقل شيأ فخرج ابن مصعب فرآه في مسجـد المدينة فقال له يا أبا أسحق أما تحب أن ترى بصيص جارية ابن نفيس فقال امرأته طالق ان لم يكن الله ساخطاً عليّ فيها وان لم أكن اسأله ان يرينيها منـذ سنة فما يفعل فقلت له اليوم إذا صليت العصر فوافني ههنا قالت امرأته ان برحت من ههنا حتى تجيء صلاة العصر قال فتصرفت في حوائجي حتى كان العصر فدخلت المسجد فوجدته فيه فأخذت بيده وأتيتهم به فأكلوا وشربوا وتساكر القوم وتنـــاوموا فاقبلت بصيص على مزيـد فقالت يا أبا اسحق كأن نفسك تشتهي ان اغنيك الساعة

لقد حثوا الجمال ليهربوا منا فلم يئلوا

فقال امرأته طالق ان لم تكوني تعلمين ما في اللوح المحفوط قال فغنته ثم سكتت ساعة وقالت يا أبا اسحق كـأن نفسك تشتهي ان تقوم فتجلس الى جانبي وتقرصني قرصات واغنيك .

قالت وأبثثتها وجدى فبحت به   قد كنت عندي تحب الستر فاستتر
ألست تبصر من حولي فقلت لها   غطى هواك وما ألقي على بصري

فقال أمرأته طالق ان لم تكوني تعلمين ما في الارحام وما تكسب الانفس غدا وبأي أرض تموت ففنته ثم قال برح الخفاء أنا أعلم أنك تشتهي أن تقبلني شوق البين واغنيك هزجاً

أنا ابصرت بالليـــل   غلامـــاً حسن الدل
كغصن البان قـد أصبح مسقياً من الطل

فقال أنت نبية مرسلة فقبلها وغنته ثم قالت يا أبا اسحق ارأيت أسقط من هؤلاء يدعونك ويخرجونني إليك ولا يشترون ريحاناً بدرهم يا أبا اسحق هلم واعطني درهماً اشتر به ريحاناً فوثب وصاح واحرباه أي زانية اخطأت استك الحفرة انقطع والله عنك الوحي الذي كان يوحي اليك وعطعط القوم وعلموا ان حيلتها لم تنفذ فيه ثم خرج ولم يعد إليهم وأعاد القوم مجلسهم فكان أكثر شغلهم فيه حديث مزيد والضحك منه (وحكى) أبو يعقوب قـال حضرت مجلس حماد عجرد ومعنا غلام جميل فجعل يرمقه حتى حزر المكان الذي ينام فيه فلما هجع الناس وقد اختلف النوام فكنت موضع الغلام قام حماد فدب عليّ فأخذت يده وجعلتها على عيني العوراء فلما عرف ولى وهو يقول وفديناه بذبح عظيم * وروي أن نصرانياً وجد مع مسلمة آخر يوم صومه فأكره علي الاسلام فأسلم وضرب مائة سوط وأخذ منه مائة دينار وكان أول يوم من رمضان فصام مع الناس فقيل له بعد أيام كيف حالك فقال كيف حـال من صام خمسين وأتبعها بثلاثين وضرب مائة ووزن مائة وخرج من ملة الى أخرى وزوج فاجرة * وسأل رجل عالماً فقال أفطرت يوماً من رمضان سهواً قال صم عوضه قال صمت عوضه وأتيت أهلي وعندهم طعام فسبقتني يدي إليـه فأكلت منه قال تقضي يوماً آخر قال قضيته وأتيت أهلي وقد عملوا هريسة فأكلت ساهياً فما ترى قال أرى أن لا تصوم إلا ويـدك مغلولة الى عنقك * ودخل رجل على الشعبي وعنده أمرأة فقال أيكما الشعبي فقال هذه * واشترى

جحا يوماً دقيقا وأعطاه لحمال فلما دخلوا في الزحام هرب الحمال بالدقيق فرآه جحا بعد أيام فتوارى منه فقيل له لم ذلك فقال أخاف أن يطالبني بالأجرة * وقدم الى أبي حازم القاضي سكران ليمتحنه فقال له من ربك فقال اصلحك الله ليس هذا من مسائل القضاة إنما هو من مسائل منكر ونكير فضحك وخلى سبيله * وولى رجل تفرقة مال على العميان والأيتام والقواعد من النساء فدخل عليه رجل ومعه ولده فقال أثبتني في القواعد فقال ويلك انهن نساء لا ازواج لهن وأنت رجل فقال أثبتني في العميان قال صدقت فإن الله تعالى يقول فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال وأثبت ولدي أيضاً في الأيتام فقال أفعل ذلك لأن من أنت أبوه فهو يتيم * دخل جحا على المهدي يوماً فقال له كم عيالك قال ثمانية فأمر له بثمانية آلاف درهم فأخذها وخرج فلما بلغ الباب رجع وقال نسيت واحداً من عيالي قال من هو قال أنا فضحك المهدي وأمر له بمثل ذلك * مر يهودي في سوق وكان كاتباً فصاح به صبي يا عم قف حتى أصفعك فالتفت إليه وقال أنا مستعجل أصفع أخي عني وقال بعض السوقة هذه النعل في قفاك فقال له إذا كان في رجل اختك ومثل ذلك رجل قال لامرأة في يدها خف ليته على كتفي فقالت بشرط ان يكون فارغاً * وقال رجل لآخر اني أعرف صناعة الفضة وأريد أن اعلمك ولكن أحتاج الى ألف درهم للالآت فأعطاه فمضى ولم يعد فقيل له قد خدعك وكذب عليك قال لا لأنه علمني كيف صناعة الفضة أي أخذها وكيفية الحيلة فان شئت أن أفعل مثله فعلت

فصل في ذكر نبذة من لطائف

الاشعار ملتقطة مما ختم به الكتاب

وفي غضون الحكايات قد سلكنا طريقتنا المعروفة من نحو حذف المكرر وانتقاء المستلطف

(بعض الاعراب)

الا يا حمام الشعب شعب مؤنش سقيت الغوادي من حمام ومن شعب
سقيت الغوادي رب خود خريدة اصاخت لخفض من غنائك او نصب
فان يرتحل صحبي بجثمان اعظمي يقم قلبي المحزون في منزل الركب

(ابن المرزبان)

لئن كنت لا أشكو هواك فانني أخو زفرات والفـؤاد كئيب
فان كان قلبي فيك يضني صبابة وقد مرضت من مقلتيك قلوب
فما عجت موت المحبين في الهوى ولكن بقـاء العاشقين عجيب

(ابو عكرمة الضبي)

فلو أن ما بي بالحصا فلق الحصا وبالريـح لم يسمع لهن هبوب
ولو انني استغفر الله كلما ذكرتـك لم تكتب علي ذنوب
ولو أن أنفاسي أصابت بحرها حديداً إذا ظل الحديد يذوب

(صاحب الأصل)

وروض أتينـاه عشية أقبلت ملاح البرايا من غضيض وغضة

حكى لونه والبيض محدقة به زمردة خضراء في وسط فضه

(محمد بن وهيب)

اذا اختلجت عيني رأت من تحبه فدام لعيني ما حييت اختلاجها
وما ذقت كاسا مذ تعلقني الهوى فاشربها ألا ودمعي مزاجها

(صاحب الأصل)

اخا الكاسات اني في انتظام وبنت الكرم واسطة العقود
وقد رمنا تزوجها ابن مزن فهل لك ان تكون من الشهود

(وله ايضاً)

ولما رأيت البدر ألقى شعاعه على نيل مصر والسفين بنا تجري
تخيلته نسراً يسير بسيرنا من الفضة البيضاء في لجة البحر

(وله ايضاً)

ولما رأيت الشمس عند طلوعها ونحن بوسط البحرفي النيل من مصر
تخيلت هاتيك القلوع وسفنها قصور نضار والقصور بنا تجري

(ولبعضهم)

اذا نحن خفنا الكاشحين فلم نطق كلاماً تكلمنا بأعيننا شذرا
نصد اذا ما كاشح مال طرفه الينا ونبدي ظاهراً بيننا هجرا
فان غفلوا عنا رأيت خدودنا تصافح أو ثغر أقر عنابه ثغرا
ولو قذفت أجسادنا ما تضمنت من الضر والبلوى اذاقذفت جمرا

(صاحب أصل الأصل)

لحي الله يوم البين كم مات عاشق أرى قومه لا يطلبون بثاره
وعاذلة أضحت تلوم على الهوى أخا لوعة لم يستفق من خماره
وأغيد في جيش من الحسن يفتدى لماه وعيناه وخط عذاره

حكى الظبي ظبي الرمل جيدا ومقلة فيا ليته لم يحكه في نفـــاره

(أبو العلاء الرقي)

أحبك يا سلمى على غير ريبـــه ولا بأس في حب تعف سرائره
فقد مات قلبي أول الحب فانقضى فإن مت أمسى الحب قدمات آخره

(عبد الرحمن العقيلي)

هذي الخدود وهذه الحدق فليدن من بفـــؤاده يثق
لو أنهم عشقوا لما عذلوا لكنهم عذلوا ومـــا عشقوا
عنفوا عليّ بلومهم سفها لو جرعوا كاس الهوى رفقوا
ليس الفؤاد معي فأعلم ما قد نال منه الشوق والقلق
ما الحب إلا مسلك خطر عسر النجاة وموطىء زلق

(احمد بن يحيى)

اذا أنت رافقت الرجال فكن فتى كأنك مملوك لكل رفيق
وكن مثل طعم الماء عذبا وباردا على الكبد الحرّ لكل صديق

(صاحب أصل الأصل)

إذا كنت من أمر الهوى غير منفك فدع جسدي يضني ودع مقلتي تبكي
إلا قاتل الله الرقيب وموقفا بكينا به والبين يفتر بالضحك
وغرّب غربان النوى حين بشرت نعيبا من البين المفرق بالوشك
فيا ويح ذي العشاق أمست دماؤهم تطل غراما وهي هينة السفك

(وقال بعضهم)

وما الحب إلا شعلة قدحت بها عيون المها باللحظ بين الجوانح
ونار الهوى تخفي وفي القلب فعلها كفعل الذي جادت به كف قادح

(وقال آخر)

يقول أناس لو نعت لنا الهوى ووالله ما أذري لهم كيف انعت
فليس لشيء منه حد أحده وليس لشيء منه وقت مؤقت

(وقال آخر)

لي في محبته شهود اربع وشهـود كل قضيـة اثنان
خفقان قلبي وارتعاد مفاصلي وصفار لوني واعتقال لساني

(وقال آخر)

فسألتها بإشارة عن حالها وعلى فيهـا للوشـاة عيـون
فتنفست صعداً وقالت ما الهوى إلا الهوان أزيل عنه لنون

(ذو النون المصري)

شوق أضرّ بمهجة المشتاق أجرى سوابق عبرة الاماق
لعبت يد العبرات في وجناته وكذا به لعبت يد الاشفاق

وانشد ابن دريد وقد أورده في البـاب الثاني في قصة رملة مستشدأ به على الفرقة

أقول لو رقاوين في فرع أيكة وقد طفل الا مساء أوجنح العصر
وقد بسطت هذي لتلك جناحها ومر على هاتيك من هذه النحر
لينهكما أن لم تراعا بفرقة ولادب في تشتيت شملكما الدهر
فلم أر مثلي قطع الهجر قلبـه على انه يحكي قسـاوته الصخـر

(وقال آخر)

قالت ومدت يداً نحوي تودعني وروعـة البين تأبى ان امـد يداً
أميت أنت أم حي فقلت لها من لم يمت يوم بين لم يمت أبداً

(الشهاب محمود)

أأحبابنا هل لي اليكم وقد نأت بي الدار من بعد الديار رجوع
وهل شمس هذا الأنس بعد فراقنا يكون لها بعد المغيب طلوع
وهل لي ولا والله ماذاك ممكن فؤاد إذا حان الفراق يطيع
وقد كنت أدري والحياة شهية تروق بكم أن النوى سيروع

(العباس بن الأحنف)

يا بعيد الدار عن وطنه مفرداً يبكي على شجنه
كلما جد النحيب به زادت الأسقام في بدنه
ولقد زاد الفؤاد شجاً هاتف يبكي على فننه
شاقه ما شاقني فبكى كلنا يبكي على سكنه

(وله ايضاً) :

جرى السيل فاستبكاني السيل إذ جري وفاضت له من مقلتيّ غروب
وما ذاك إلا حين أخبرت انه يمرّ بواد انت منه قريب
يكون اجاجاً دونكم فاذا انتهى اليكم تلقى طيبكم فيطيب
أيا ساكني أكناف دجلة كلكم الى القلب من أجل الحبيب حبيب

(الشريف الرضي)

ومن حذري لا اسأل الركب عنهم وأعلاق وجدي باقيات كما هيا
ومن يسأل الركبان عن كل غائب فلا بد ان يلقى بشيراً وناعياً

(وقال آخر)

أيا ظبية الوادي التي سفكت دمي بلحاظها بل يا مهاة الأجرع
لي أن أبث اليك ما ألقاه من ألم الجوى وعليك ان لا تسمعي

(أبو نواس)

يا نظرة ساقت الى ناظري أسباب ما يدعو الى حتفه

من حسن ظبي حسن دله　　يقصر الواصف عن وصفه
في البدر من صفحته لمحة　　ولمحـــة في الظبى من طرفه
مقاتل الأنفس من ثغــره　　وفي ثنايـــاه وفي كفه

(سعد بن الدهان)

قل للبخيلة بالسلام تورعا　　كيف استحبت دمي ولم تتورعي
هل تسمحين ببذل أيسر نائل　　ان اشتكى بني اليك وتسمعي

(أبو الحسن السلامي)

ظبي إذا لاح في عشيرته　　يطرق بالهم قلب من طرقه
سهام ألحاظه مفوّقـــة　　فكل من رام وصله رشقه
بدائع الحسن فيه مفترقه　　وأنفس العاشقين متفقه
قد كتب الحسن فوق عارضه　　هذا مليح وحق من خلقه

(محمد بن موسى)

يا جفونا سواهراً اعدمتها　　لذة النوم والرقاد جفون
ان لله في العبـاد سهاماً　　سلطتها على القلوب العيون

(الحسين بن الضحاك)

ألا إنما الدنيا وصال حبيب　　وأخذك من مشموله بنصيب
ولم أرفي الدنيا كخلوة عاشق　　وبذلة معشوق ونوم رقيب

(وقال آخر)

ليس المحب الذي يخشى العقاب ولو　　كانت عقوبته في الفة النار
بل ان المحب الذي لاشيء ينفعه　　أو يستقر ومن يهواه في النار

(وقال آخر)

اراني منحت الحب من ليس يعرف   فما أنصفتني في المحبة منصف
وزادت لدينا حظوة يوم أعرضت   وفي اصبعيها أسمر اللون اهيف
اصم سميع ساكن متحرك   ينال جسيمات العلا وهو أعجف
عجيب له اني ودهرك معجب   يقوّم تحريف العباد محرف

(بشار بن برد)

وكاعب قالت لاترابها   يا قوم ما أعجب هذا الضرير
هل يعشق الانسان ما لا يرى   فقلت والدمع بعيني غزير
ان كان عيني لا ترى وجهها   فانها قد صوّرت في الضمير

(ابن أبي الدنيا)

إذا المرء لم ينصف أخاه ولم يكن   له غائباً يوماً كما هو شاهد
فلا خير فيه فالتمس غيره أخا   كريماً على فضل الكريم يعاهد
وان غبت يوماً أو حضرت فوجهه   على كل حال أينما كنت شاهد

(لطيفة وخاتمة)

تشتمل على لطائف ما نقش على الخواتم والكت وغيرهما * وجد على كليل برأس جارية

والله يا طرفي الجاني على كبدي   لتطفئن بدمعي لوعة الحزن
بالله تطمع أن أبكى اسي وجوى   وأنت تلتذ طيب العيش والوسن

(وعلى عود)

يا أيها الزاعم الذي زعما   أن الهوى ليس يورث السقما
لو أن ما بي بك الغداة لما   مت محباً إذا اشتكى ألما

(وعلى ميل)

لو كان يدري مالك ما الذي   ألقى من الأحزان والكرب
وما ألاقي من أليم الهوى   عذب أهل النار بالحب

(وعلى كاس)

الحمد لله على ما قضى   قدكان ذا في القدر السابق
ماتحمل الأرض على ظهرها   اشقى ولا أوثق من عاشق
فبينما يمشي على مرمر   وبينما يسقط من شاهق

(وعلى اترجة)

يا لك اترجة مطيبة   توقد نار الهوى على كبدي
لو أن اترجة بكت لبكت   لرحمتي هذه التي بيدي

(وعلى تكة)

ان العيون التي في طرفها حور   قتلتنا ثم لم يحيين قتلانا
يصر عن ذا اللب حتى لاحراك به   وهن أضعف خلق الله انسانا

(وعلى خاتم)

قلبان في خاتم الهوى جمعا   فارغم الله أنف من قطعا

(وعلى آخر)

تمنيت القيامة ليس إلا   لألقي من هويت على الصراط

وعلى آخر الموت في الحب جميل ونقش ابن داود على خاتم سطرين أحدهما وما وجدنا لأكثرهم من عهد والثاني فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكان يرمي به الى من ينظر الى حدث وكان ابن سمنون يعارضه فيما يفعل فقال له يوماً اتعارض هذا قال نعم وجاء بعد قليل وقد نقش على خاتم سطرين أحدهما وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون وعلى الثاني ولنصبرن على ما آذيتمونا ومما ينخرط في هذا السلك ما يكتب على الكتب قيل أن صاحب المصارع كتب على أول جزء منها

هـــذا كتاب مصارع العشاق   صرعتهم يوم النـــوى بفراق

تصنيف من لذع الفراق فؤاده وتطلب الراقي فعز الـــراقي
فإذا تصفحه اللبيب رثى لهـم اسرى هوى أبسوا من الأطلاق

(وعلى الثاني)

مصارع العـــاشقين صرّعهم هوى الظبـــاء الفواتر الحـــدق
تصنيف من صــــده تصوّنه عن كشف ما في الفؤاد من حرق
فهو يسر الهوى ويكتمـــه والقلب قد تـــاه منه في الطرق

(وعلى الثالث)

مصــارع العشاق مجموعـــة فيها لمن يقرؤهـــا عبره
جمع عفيف الحب يطوي الهوى لو لم تكن تنشره العبره
غرامه ناء مقيم وان أعدمه يوم النوي صبره

(وعلى الرابع)

كتاب مصارع أهل الهوى ومن فتكت فيه أيدي النوى
تـكلف تصنيفه عاشق عفيف الضمائر جم الجوى
أضل برمل اللوى قلبه فهل ناشد قلبه باللوى

(وعلى الخامس)

مصارع قتلى من العاشقين ما لدمائهم طالب
تـكلف جمع أحاديثهم عفيف هوى وجده غالب
سقاه الهوى صرف صهبائه فاصبح سكرانا الشارب

(وعلى السادس)

كتاب صرعى الهوى وقتلاه ومن صحا منهم وسكراه
تصنيف من كاد أن يشاركهم لكن وقاه بفضله الله
فضم مما منوا به طرفا يعجب قاريه حين يقراه

(وعلى السابع)

مصارع من جارت يد البين والنوى عليهم فاضحوا في ديارهم صرعي
دماؤهم مطلولة قد أباحها لاحبابهم شرع الهوى حبذا شرعا
تدرعت من نيل الهوى الصبر جنة فجاءت سهام منه انفذت الدرعا

(وعلى الثامن)

كتاب مصارع قوم سقوا كؤس الهوى مترعات دهاقا
شكوا صرفها طالبين المزاج فشيبت على الرغم منهم فراقا
جمعنا أحاديث صرعاهم وسكراهم فيه لا من افاقا

(وعلى التاسع)

مصارع أبناء الهوى جمع عاشق تجرع من راح الهوى ما تجرعا
فلما رأى الفودين قد حل فيها المشيب منيخا والمفارق اقلعا
وأضحي مصيخا للنذير الذي علا مفارقه ينعي الشباب المودعا

(وعلى العاشر)

كتاب من دارت كؤس الهوى عليه صرفا ليس فيها مزاج
فصرّعتهم إذ حسوها فهم مرضى ينادون الأمن علاج
تصنيف من شاركهم في الهوى فليته مما لقي اليوم ناج

(وعلى الحادي عشر)

مصارع اللابسين قمص الهوى ضفت عليهم كل يجرجرها
تصنيف من ذاق من سلافته الصفو وما فاته مكدرها
يطوي أحاديث وجده ودموع العين في فيضهن تنشرها

(وعلى الثاني عشر)

كتاب تضمن أخبار من أطاع الهوى وعصى العذلا
فلما تمكن من قلبه أعاد حلاوته حنظلا
تكلف تصنيفه عاشق سلا العاشقون وما قد سلا

(وعلى الثالث عشر)

مصارع أقوام توالت عليهم كؤس هوى ممزوجة بفراق
فمالوا سكاري ما لهم من افاقة الى حين شمل جامع وتلاقي
فرق لهم مما لقوا عاشق أبت تجف له بعد الفراق أماقي

(وعلى الرابع عشر)

كتاب مصارع من جهزت بظلم اليه النوي جندها
جمعناه لما سقينا الهوى افاويق لم نستطع ردها
وسقنا أحاديث من جاوزت به فجمات النوي حدها

(وعلى الخامس عشر)

كتاب مصارع العشاق من عرب ومن عجم
ليعتبر الخلى بما لقوا شكراً على النعم
مصنفه عفيف هويٍ مصون غير متهم

(وعلى السادس عشر)

مصارع ابناء الهوى كل عاشق رماه الهوى عن قوسه فاصابا
رثى لهم من خاف يلقى الذي لقو فالف فيما قد لقوة كتابا
وجمع من أخبارهم في هواهم أحاديث مثل الروض جيد سحابا

(وعلى السابع عشر)

كتاب تضمن أبوابه مصارع قتلى من العاشقين
سقاهم سلافته مازجاً هواهم فمالوا به خاضعين
غرام تلوم العيون القلو ب فيه وتلحي القلوب العيون

(وعلى الثامن عشر)

كتاب جمعنا به عانـــين مصارع من قتل الحب صبرا
إذا ما تصفحـــه سالم من الحب أخلص لله شكرا

جمعناه صاحين حتى اذا خبرناه ملنا من الحب سكرا

(وعلى التاسع عشر)

مصارع قتلى الهوى مثبت لعينيك ما كان من حالهم
تضمن من كل أعجوبة وكيف تفانوا بآجالهم
فلو ذقت ما ذاق أهل الهوى لكنت لحقت بامثالهم

(وعلى العشرين)

كتاب جمعت به كل ما تفرق من قصص العاشقين
وكنت ألومهم عاذلاً فصرت لهم أحد العاذرين
فكم عاشق ذاق يوم النوى وقد غرد الحاديان المنون

(وعلى الحادي والعشرين)

مصارع قتلاء الهوى صرعتهم سلافته يسقونها صافياً صرفا
فمنهم عفيف ظل يكتم وجده فنم عليه ماء أجنانه وكفا
جمعت كتاباً في مصارعهم اذا تصفحه ذو اللب رق تالفا

(وعلى الثاني والعشرين)

قد صنف الناس حقاً في الهوى كتبا فيمن صحا بعد سكر منه أوعطبا
وأكثر وأغيراتي قد جمعت لهم وما اختبرت كتاباً رائعاً عجبا
ذكرت فيه باسناد مصارعهم عجماً وجدتهم في الناس أو عربا

ونظائر ذلك كثيرة لا مطمع في استقصائها ولا قدرة على احصائها فلنختم الكلام الذي اقتطفناه من هذه الأزهار وارتضيناه ومن هذه الاثمار جنيناه مستغفرين الله مما جنيناه أذ هو أكرم كريم يقبل التائب والطف لطيف يؤب اليه الآيب قائلاً

كتبت وقد أيقنت أن جوارحي ستبلى ويبقى كل ما انا عامله
فان كان خيراً سوف أحمد غبه وإن كان شراً او بقتني غوائله

فاستغفر الله العظيم من الذي كتبت ومما قلت أو أنا قائله
فيا رب بالهادي النبي محمد نبي على كل الورى فاض نائله
وبالآل والأصحاب ترحم عاجزاً كليلا من الذنب الذي هو حامله
أتى تائباً من غفلة اللهو قائلاً (صحاالقلبعنسلمىوأقصرباطله)
ولم لاوجل العمرقد فات وانقضى (وعري افراس الصابور واحله)
تفضل عليه وارحم الآن ذله وتختم بخير كل ما هو فاعله

فهذا اقصى ما أوردنا تحريره وانهى نهاية ما أردنا تسطيرة معتذرين عن التقصير بما أسلفنا في صدر الكتاب تقريره فليثق الناظر فيه بانا لم ندع من أصله شيأً يعتد به الا وقد أودعناه في مطاويه اللهم الا ان يأتي غبي يتكل على المباني دون المعاني ويؤثر التصريح في كل المواطن على التلويح ويقيس الأبواب الاصلية على تقاسيمنا الكلية فيضل ويتهم ويخطىء وما علم ولو سلكنا ذلك لتركنا الكتاب بحالة ولم يظهر تميز بين أفعالنا وأفعاله ولم يتيسر ان يكون كتابنا بالنسبة الى أصله كنصفه مع احتوائه على زيادات مثل ضعفه فالحمد لله على اتمامه والشكر له على جزيل انعامه وعلى خاصته من خلقه محمد وآله وأصحابه أفضل صلاته وسلامه * قال (مؤلفه) رحمه الله تعالى وقد وافق ختامي له يوم الاربعاء خامس عشر شوال وايار الموافق العشرينبشنس وخامسة الجوزاء الشمس من شهور سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة هجرية نبوية على مشرفها أفضل الصلاة والسلام والتحية

فهرست

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
في ذكر من عوقب بالفسق ولم يشتهر بالعشق	٣٠٠
القسم السادس في ذكر من حله عقده المحبة وخالف سنن الأحبة	٣٠٤
في ذكر من تاب عن الخلاف وعاد الى الائتلات	٣٠٥
في ذكر من تمادى على نقض العهد ومات على اخلاف الوعد	٣١٠
في ذكر من اشتبه العشاق في محبته	٣١٥
شعر الخنساء ورثاء اخيها	٣١٧

فهرست الجزء الثاني

مـــن

تـــزيين الاسواق

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



الناشيء

